عبدالغني خمّاس

حسّان بن ثابت

((شاعر الانصار))

مكتبة النهضة - بغداد

حسّان بن ثابت
شاعر الأنصار

حسّان بن ثابت

شاعر الانصار

عبدالغني خمّاس

مكتبة النهضة - بغداد

مكتبة النهضة - بغداد

الطبعة الاولى - بغداد ١٩٨٨

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

حسان بن ثابت . . شاعر الأنصار

توطئة:

جاء الاسلام حاملا طيَّ تعاليمه ثورة عارمة، شملت كل مظاهر الحياة الجاهلية.

جاءهم بشيراً ونذيراً. . بشيراً بالهدىٰ والرحمة، ومنذراً كلَّ من كانت تُسوِّل له نفسه بالوقوف ضد هذه الدعوة الربانية، التي حفلت بالخير العميم لكل العرب، في شتىٰ أنحاء الجزيرة. دعتهم الىٰ الوحدة وجمع الشمل، بعد أن كانوا متقوقعين في حدود قبائلهم الضيقة، كل قبيلة تحاول الإغارة علىٰ غيرها من القبائل لتسلب ما عندها من خير، أو لتُزيحها عن أرضها ومراعيها الخصبة ومياهها الوفيرة، لتنعم هي بها دون القبائل الآخرى. لذا كان الحرب بينهم سجالا والأيام تباعاً، وليست هذه الحياة كانت وقفاً علىٰ العرب دون سواهم من الأمم التي عرفت البداوة. وتعودت التنقل طلباً للماء والمرعىٰ، بل كان هذا شأن الأمم البدوية، مـذ خلق الله البداوة حتى يومنا هذا.

لهذا فأن أول صرخة دوّت في جزيرة العرب هي صرخة التوحيد توحيد الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ومن ذلك توحيد العرب على كلمة حتى لا تتبعثر جهودهم، ولا تتلاشىٰ قواهم، قال تعالىٰ في محكم كتابه الكريم ﴿**وأعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ لقد كان الداء العُضال، الذي ظل ينخر في جسم الأمة آنذاك مجسماً في داء الفرقة والتشتت، وأنقسام القوم الى وحدات صغيرة تُمثله في القبلية، فلما جاء الأسلام أعلنها حرباً شعواء على كل من يحاول أن يثير تلك الدعاوىٰ الجاهلية.

لأنه كان يعلم علم اليقين، ان تلك الدعوات العصبية هي سر تخلف العرب، وعلى هذا فلن تقوم لهم قائمة ألا أذا وحدوا الصفوف وأعتصموا بالوحدة التي هي حجر الزاوية بالنسبة لبناء أمجادهم وعزهم.

لهذا فقد أكد الاسلام بأن الوحدة هي المنطلق نحو نشر الدعوة الأسلامية، وبدونها لا يتحقق للأسلام أي نجاح. فنراه ـ أي الاسلام ـ يوحد ما بين الأوس والخزرج بعد أن أنتقل مركز الدعوة الى المدينة بعد الهجرة، وكان الخلاف حاداً والحروب مستمرة ما بين هذين الحيّين من أحياء المدينة. وبعدها آخى الرسول (ﷺ) ما بين المهاجرين والانصار، وجعل منهم كتلة متراصة كأنها البنيان المرصوص، وبعد أن خطا هذه الخطوة الجبارة راح ينازل قريشاً والمشركين. ويحاربهم دونما خوف أو وُجل لأنه قد

تأكد من قوة الجبهة الداخلية وتلاحمها. بعد أن ألتف الكلُّ حول الدعوة وتفاعل معها عقلياً وشعورياً وعاطفياً.

لقد أستغل أعداء العرب قديماً هذا التمزق والتفرق وغذُّوه ونموه لكي يبقىٰ العرب ضعفاء، وبالتالي ليكونوا دائماً رهن أشاراتهم.

فاستغل الروم عرب الغساسنة فاغروهم بأمارة، وكذلك أستغل الفرس العنصريون عرب الحيرة، بعد أن أقاموا لهم دولة المناذرة وكثيراً ما كانوا يدفعون الأخوة في حروب طاحنة، بعد أن يضرموا نار العداوات ما بين هاتين الأمارتين، وكل ما كان يطمح أليه هؤلاء القوم أن يبقىٰ العرب في خلافات دائمة وحروب مستمرة حتى يوسعوا شقة الخلاف ما بين الأشقاء. كل ذلك لتظل حدودهم آمنة، وقوافلهم التجارية تجوب الصحراء وهي مطمئنة، يحرسها العرب أنفسهم في رواحها ومجيئها.

جاء الاسلام ليقضي على هذه الظواهر السلبية، التي كادت أن تفني العرب، وتقضي على فرسانهم وأخيارهم.. . جاء الأسلام ليقضي على هذه وغيرها من العادات والتقاليد، التي من شأنها ان تُضعف المجتمع؛ كالعبودية ﴿الناس سواسية كأسنان المشط﴾، ﴿كلكم من آدم، وآدم من تراب﴾.

فنجده يحرم المقامرة وشرب الخمر، والتفاخر بالأنساب، واتخاذ الأصنام وسائل لتقربهم الى الله زُلفى. وغيرها من العادات

والتقاليد التي كانت مُتفشية في المجتمع الجاهلي، والتي ضعضعت ذاك المجتمع، وكادت أن تأتي عليه لولا أن تداركته حكمة الله فأرسل رسوله نوراً وهداية، لينير لهم سُبل الحق، ويرشدهم الى سواء السبيل.

جهر الرسول (ﷺ) بدعوته في مكة المكرمة، ومن الطبيعي ان يصادف مقاومة عنيدة من أناس أعتادوا مثل ذلك العيش وتمرسوا على مثل تلك الحياة. فليس من السهل ان يقتلع الدين الجديد تلك الجذور التي أمتدت الى أعماق أعماقهم فلابد ـ والحالة هذه ـ أن يعترضه المعترضون، وأن يقف ضد تلك الدعوة من جعل الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في آذانهم وقراً فهم لا يسمعون كلمات الحق، وفي قلوبهم الباطل، فهم لا يستجيبون لدعوة السماء، التي أستطاعت أخيراً ان تنفذ بأنوارها الى القلوب وأن تستأصل تلك الأدران الخبيثة التي جثمت في حنايا تلك الصدور، وأستقرت في القلوب.

وبعد مآسي وحروب، أستطاع الأسلام أن يثبت في الجزيرة وأن يدخل القلوب، وتنشرح له النفوس.

من البديهي ان يقف في أول بدء الرسالة جمع من الناس ضدها، وضد صاحبها، ويقاوموا ما جاء به الرسول وما أنزله الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ عليه ومن الطبيعي أن يكون الشعر، أو بعض الشعراء قد ناصب النبي (ﷺ) العداء، لأن تأثير الشعر كان كبيراً

على النفوس.

لهذا مالت قريش الى بعض الشعراء وأغرتهم بمزاحمة الرسول ودعوته كإبن الزِبَعْري، وأبو سفيان، وعمرو بن العاص.

ومن الطبيعي أن ينضم الى صف النبي (ﷺ) شعراء ينافحون عنه وعن رسالته، ويتصدون لمن كان يهاجم الرسول وصحبه المسلمين وكان أبرز هؤلاء وأطولهم باعاً هو ﴿حسان بن ثابت﴾ الأنصاري شاعر الرسول، والذي نحن بصدد دراسة شعره في هذا الكتيب.

قد يقول قائل: هل كان كلام الله المعجز، دون هذه المهمة، حتى تفرغ للرسالة شعراء ينافحون عنها ويدافعون؟.

الجواب.. ان القرآن الكريم الذي أخرس البلغاء، وأسكت الفصحاء وأعجز ذوي الألسنة الفحول وأذهلهم، وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا.. أقول ان هذا القرآن العظيم لقادر أن يخرس الألسن وقد أخرسها بالفعل، وأن يبكم الأفواه ويجعلها حيرى لا تدري ما تقول.. هذا القرآن يستطيع أن يفعل ذلك وأكثر من ذلك.

ولكن النبي (ﷺ) أراد أن على الشعراء الذين ناصبوا الدعوة العداء بشعراء مثلهم، لكي تكون الغلبة في كل ميادين القول للأسلام.

هذا من جهة.. ومن جهة أخرى، ان القرآن الكريم، ما

أنزله الله للتفاخر والهجاء والتعالي، الى غيرها من مواضيع الشعر.

إن القرآن الكريم أحكام ربانية، ووصايا أخلاقيـة تسمو مواضيعها على مواضيع الشعر، لهذا كان الشعر يُجابه بشعر مثله.

يُـروى ان قبيلة تميم أرسلت وفـداً الى النبي (ﷺ) ولقـد أرتدىٰ الوفد أفخر الثياب، وكان شاعر الوفد «الزبرقان بن بدر» فقال قصيدة يُفاخر فيها مطلها:

نحنُ الكرامُ فلا حيٌّ يفاخرنا   فينا الملوكُ وفينا السادةُ الرُّفُعُ

فتلفت الرسول يبحث عن حسان فلم يجده فارسل في أثره، فلما جاء ألقىٰ قصيدة يناقض فيها قصيدة الزبرقان، ومنها:

إن الـذوائب من فهو وأخـوتهم   قـد بينـوا سُنـه للنـاس تُتَبـعُ
يرضىٰ بها كـل من كانت سريـرته   تقوىٰ الآله، ويا لأمر الذي شرعوا
سجيـة تلك فيهم غـير محـدثـة   إن الخلائق - فاعلم - شرهـا البدع
أكـرم بقـوم رسـول الله قـائـدهم   أذا تـفـرقتْ الأهـواءُ والـشيُـع

ومن يقـرأ السيرة النبـوية الشريفـة، يجد الكثـير من تلك المناقضات التي تُبودلت ما بـين شعراء قـريش وشعراء الـرسول (ﷺ).

أراد الرسول (ﷺ) بهذا الأتجاه أن يجابه القوم بنفس منطقهم وأساليبهم، إن جاء هجاؤهم شعراً، ردَّ عليه المسلمون بشعر أقوىٰ وأجزل منه. وذلك ـ لعمري ـ أقوىٰ للحجة وأنفذ للقصد.

لم يفعل رسول الله (ﷺ) ما فعله الكهنة في العصور الجاهلية، والذين كانوا ينطقون بكلام مجهول غير معروف، يريدون إيهام السامعين بأنهم قادرون أن يأتوا بكلام مُعجز لا يستطيع السامع أدراكه لأنه كلام رباني لا يقدر على فهمه ألا من وهبه الله السرَّ وأدركه بفيض من الإعجاز. ذلك ما كانوا يدعون.

لقد نازلهم الرسول بنفس الأسلوب الذي كانوا ينازلونه به يقول صاحب الأغاني «كان يهجو رسول الله (ﷺ)، ثلاثة رهط من قريش: عبدالله بن الزبعري، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعمرو بن العاص، فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة». (١)

وقد ألف العرب قبل الاسلام أستخدام سلاح الهجاء في الصراع القبلي في الجاهلية. وكان لابد ان يلجأ الرسول (ﷺ) الى هذا السلاح بعد ان شهرته قريش في وجوه المسلمين. لأنه كان يعلم علم اليقين ما للشعر من أثر في نفوس العرب، ومدى أستيلائه على قلوبهم وعقولهم. أذن لابد ان ينازلهم وبيده نفس

---

١ ـ كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني: ج٤ ص١٣٧: طبعة دار الكتب المصرية.

العـدة التي كانـوا يستعملونها ضد المسلمـين، ومن تلك العَـدَدَ «الشعر».

يروىٰ ان الرسول (ﷺ) قال للأنصار: «ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟

فقال حسان أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسايرني به مقْوَلُ بين بُصرى وصنعاء.

قال رسول الله كنت نهجوهم وأنا منهم لأسلنّك منهم كما تُسلُّ الشعرة من العجين.

فقال له: أهجهم، فـو الله لهجاؤك عليهم أشـد من وقع السهام في غلَسِ الظلام، أهجهم ومعك جبريـل روح القدس والقِ أبا بكر يعلمك تلك الهنات»(٢)

فكان حسان يمضي الى ابي بكر ليعرفه بمواضع أنساب قريش وراح ـ بعدها ـ الشاعر حسان يرسل الحمم على قريش وشعرائها وحاربهم بنفس الأداة التي حاربوه بها، فاذا ما أنتصب شاعرهم يهذي ويقول، تصدىٰ له شاعر من المسلمـين يردًّ عـلى قصيدتـه ويُسكته، وأذا وقف خطيبهم وهو يتببه عُجباً بخطبته قذفه الرسول بخطيب آخر أخرسه وأسكته.

وهكذا كان الحرب سجالا ما بين المسلمين والمشركين، كانوا ينفسون عن ما في صدورهم من الكلام، قريش تفاخـر يغناها

٢ ـ نفس المرجع المتقدم. ج٤ ص١٣٧.

وجاهها وطيب ارومنها والمسلمون يفخرون بأن الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ قد منَّ عليهم بالأسلام فهو لهم ملجأ في الدنيا والآخرة. وكذلك كانوا يفعلون.

هذه مقدمة أحببت أن أقدمها لأستطيع بالتالي أن أظهر مكانة الشاعر حسان بن ثابت في هذا المعترك، الذي كان يُمثل فيه مكانة مرموقة، أذ كان يتصدىٰ لكل شاعر يحاول هجو الأسلام والمسلمين، «حتى كانوا يضعون له منبراً في مؤخرة مسجد الرسول (ﷺ) ليقف فوقه وينشد شعره(١).

وهذا أن دلَّ على شيء، فأنما كان يدل على مكانة هذا الشاعر المرموقة لدى المسلمين. . كيف لا وهو الذي كفاهم شرَّ الهجائين من شعراء المشركين.

١ ـ السيرة لأبن هشام ج٢ ص٦٨. ط السقاة.

﴿حسّان بن ثابت الأنصاري﴾

حيـــاته : ـ

هو حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام. أما أمه فهي الفريعة بنت خُنيس بن لوزان بن عبد ودّ.

ولد في منتصف العقد السابع من القرن السادس الميلادي، وذلك حوالي ٥٦٥م في المدينة. وينتسب الى قبيلة بني النجار، التي تنتمي بدورها الى الخزرج، فهو خزرجي من ناحية الأبوين. لهذا كان قبل الاسلام متعصباً لقومه وكانت له نقـائض معروفـة مع شعراء الأوس.

كانت أسرته من الأسر المرموقة في الجاهلية والاسلام، ففي الجاهلية كان أبوه ثابت بن المنذر من أولي الرأي والمشورة، وقد حكمته الأوس والخزرج في حرب يوم سمير وقبلوا بالأحكام التي أصدرها بهذا الشأن. وهذا ان دلَّ علىٰ شيء فأنما يدل على مكانة الرجل في قومه(١).

وقد شهد أخو الشاعـر أوس بن ثابت بيعـة العقبة، مـع

---

١ ـ ديـوان حسّان بن ثـابت: د. سعيد حيق حسنـين ص٩/ط وزارة الثقـافـة المصرية.

السبعين رجلا من الأنصار، والتي أعتبرها الكثيرون من المؤرخين نقطة تحول كبرىٰ في صالح الدعوة الاسلامية.

وقد آخىٰ الرسول (ﷺ) بين أوسٍ هـذا وبين عثمان بن عفان (رض) يوم أن آخىٰ ما بين المهاجرين والأنصار. وأخيراً فقد سقط أوس بن ثابت شهيداً يوم أحد.

كما أستشهد له أخ آخر هو أُبيٌّ بن ثابت يوم بئر معونة.

عاش شاعرنا شطراً كبيراً من عمره في الجاهلية، ولم يلتحق بالاسلام ألا بعد ان دخل قومه فيه، وكـان عمره آنـذاك حوالي الستين عاماً. أما بقية عمره الذي بلغ المائة فقد قضاه في ظلال الاسلام الوارقة.

وقد أعقب شاعرنا أبناء منهم الشاعر عبدالرحمن بن حسّان، وقد كان شاعراً وراوية لشعر أبيه. وكان الى جانب كونه شاعراً مُحدثاً من المحدثين الثقاة.

أذن، نستطيع القول ان الشاعر حسّان عاصر عهوداً ثلاثة، لقد عاش في الجاهلية وأدرك الاسـلام، كما أنـه عاصر الخلفـاء الراشدين أذ المشهور أنه تُوفىٰ في آخر خلافة الأمام علي «رض».

وقـد أستفاد الشـاعر من تلك الحيـاة الحـافلة بـالمبـاهـج والأحداث، ففي الجاهلية كان يقف بالمرصاد لشعراء قبيلة الأوس التي كانت تناصب العداء لقبيلته «الخزرج» وكانت الحروب بينهما لا تنقطع حتىٰ دخل الرسول (ﷺ) المدينة فحوّل العداء الى أخاء

والكره الى محبة والفرقة الى وحدة، فأندثرت تلك الخصومات الى حيث لا رجعة.

وقد كان هذا الشاعر يفِدُ علىٰ الغساسنة ويمدحهم، لا طمعاً في رفدهم وجوائزهم فقط، بل كان يرىٰ أن هناك ثمة صلة تربطه بهؤلاء الملوك، فقد كان ينزل في قصورهم، قال في قصيدة يمدحهم ويفخر بهم وبنفسه:

فهم أصلي فمن يفخر بهم يعرف الناس لفخر المفتخر
نحن أهل العز والمجد معاً غير أنكاسٍ ولا ميل عُسرُ
فسلوا عنّا وعن أفعالنا كل قوم عندهم علمُ الخبرْ

ولست أدري ما هي تلك الصلة ما بينه وبين الغساسنة؟

تلك الصلة التي أشار اليها في شعره. اللهم ألا أن تكون صلة الأنتساب الى القيسية «عرب الجنوب» والأوس والخزرج هما من عرب الجنوب، وكذلك الغساسنة، الذين وفدوا الى الشام وأستقروا فيها هم من عرب الجنوب كذلك.

ويقال كذلك أنه توّجه نحو المناذرة في الحيرة ومدح ملوكها.

أذن، أستفاد الشاعر من تجواله ذاك، بعد أن أطلَّ على إمارات وجالس ملوكاً ومدحهم، فلابد أن يكون ذلك التجوال وتلك المعاشرة قد سكبت على خياله السلاسة والعذوبة ورقة

النغم، وهذا ما نلحظه كثيرا في شعره، وفي الوقت نفسه أكسبته تلك المناقضات ما بينه وبين شعراء الأوس المتانة في التعبير والقوة في الاسلوب، وهذا ما نلمحه أيضاً في بعض قصائده.

والذي يقلب ديوان الشاعر يبدو له ماذكرناه واضحاً، فبعض القصائد كانت تحمل في طياتها ملامح البادية وكل سمات البداوة من خشونة في الألفاظ وغريب المعاني، وأخرىٰ كانت تتسم بالليونة والرقة وكأنك تشم من خلال قراءتك لابياتها نسائم تلك الحدائق الغناء التي كان ينزلها الشاعر عندما كان يزور ملوك الغساسنة، أذ كان ـ كما تقدم ـ ينزل في قصورهم متجولا في حدائقها، ومتنسماً شذىٰ عطرها.

ولما جاء الاسلام ودخله الشاعر فيمن دخله، صهره الاسلام في بوتقته، وأضفىٰ على شعره الكثير من تعاليمه وأحكامه، التي كانت ترد كثيراً في شعره الاسلامي. وخصوصاً في النقائض التي قالها يدافع بها عن الاسلام والمسلمين ضد شعراء المشركين.

ولكن مع كل ما تقدم، فقد أجمع النقاد، على أن شعر حسّان في جاهليته، من الناحية الفنية وقوة الشاعرية كان أجود مما قاله في الاسلام.

وهنا علينا أن نقف وقفة قصيرة لا دفاعاً عن الرجل، بل دفاعاً عن الحقيقة التي جهر بها الكثيرون، وهي ان الشعر أصابه

الخُمول في إبّان الدعوة وفي عهد الخلفاء الراشدين. ومن جملة هذا الشعر شعر صاحبنا حسّان بن ثابت.

إن أكثر الشعراء المخضرمين أصيبوا بهذا الخمول ألا الحُطيئة، لأنه يقي مُتسربلا سربال الجاهلية، ولم يلتفت الى ما جاء به الدين الجديد من قضايا وأحكام وشرائع. فظل يقول الشعر على سليقته البدوية وينظم القوافي وكأن لم يكن هناك جديد قد حدث.

أعود فأقول ان أكثر الشعراء المخضرمين قد بُوغتوا بأحكام هذا الدين الجديد، الذي فرض عليهم أساليب جديدة في القول وأرغمهم ان يبدلوا أقوالهم السابقة بأقوال لا تتعارض ومبادىء العقيدة الجديدة، فظل القوم - أمام هذا التحول المفاجىء - حيارىٰ لا يدرون ماذا يصنعون، وهم الذين قد تعودوا أن يحلقوا في أجواء عالية وذرىٰ ساحقة لا يخضعون في صياغة الشعر الى قيود، فكانت مجالات القول لديهم لا تحدّها حدود فهم يتفاخرون ويمتدحون ويهجون ويتغزلون حسبما تمليه عليهم غرائزهم وشهواتهم، وأذا بالأسلام يأتي ويضع لهم شروطاً، عليهم ان يلتزموا بها ﴿**ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه**﴾ فاذا أراد الشاعر أن يفخر فليفخر بدينه وقومه، لا بنفسه وقبيلته، وأذا أراد ان يتغزل فليكن غزله عفاً نزيهاً وأذا أراد ان يهجو فليكن منصفاً في هجائه، أما معاقرة الخمرة واللهو غير البرىء فقد حرّمه الاسلام.

وأكبر دليل على ذلك تلك الضجة التي أثارها الزبرقان بن بدر عندما قال فيه الشاعر الحطيئة بيته المشهور:

دعْ المكـارم لا ترحـلْ لبُغيتها

وأقعـد فأنـك أنت الـطاعمُ الكاسي

لقد ذهب الزبرقان الى الخليفـة عمر بن الخـطاب (رض) مولولا شاكياً الحطيئة على ما قاله. فلم ير الخليفة العادل من قول الحطيئة هجاء وبعد أن أخذ رأي حسّان في معنىٰ البيت، أجـابه حسّان «بأنه سنحَ عليه» أي تعرض له.

وإني لأري ان الزبرقان لم يكن متألماً من قول الحطيئة هذا، بل كان ألمه نابعاً من أنتقال الحطيئة من ديار الزبرقان الى ديار بني آنفِ الناقة، الذين كانت لهم عداوات مع آل الـزبرقـان. فهذا الذي أثار في نفسه الحفيظة ضد الحطيئة وشكاه الى الأمام العادل عمر بن الخطاب أردت بهذا أن أوضح ان الاسلام، بما فرضه من أحكام قد ضيق على الشاعر الجاهلي دائرة القول، فلم يعد الشاعر يسرح ويمرح كما يحب ويشتهىٰ، كما كان يفعل في العصر الجاهلي.

لهذا أصيب الشعراء المخضرمون بفتور، بعد أن سُدت في وجوههم الكثير من نوافذ القول.

وهذا ما وقع لشاعرنا حسّان أسوة بغيره من الشعراء. فكان شعره في الجاهلية من الناحية الفنية أقـوىٰ وأكثر رصـانة منـه في الاسلام. ثمة سبب آخر هو ان شاعرنا أعتنق الاسلام وقد بلغ الستين من عمره، ومن الطبيعي أن تجف منابع الشعر في عواطف

الشعـراء بعد أن يبلغـوا مثل هـذه السن، فـالعقـل والعـاطفـة والشعور، كل له مداه، فاذا ما بلغ المدىٰ ضعف وأنتهىٰ.

ظـل الشاعـر ينافـح عن الدعـوة وصاحبهـا، حتىٰ ينتقل الرسول (ﷺ) الى الرفيق الأعلىٰ، فينقطع الشاعر عن قول الشعر.

والسبب في رأي، ان الشاعر قد أصيب بفاجعة، بعد أن فقد الرسول الكريم (ﷺ)، الذي قربّه أليه وأخذ بيده، وكان عوناً له وسنداً. لقد أخرسته الفجيعة برسول الله (ﷺ) وظل ساكتاً واجماً لا يدري ما يقول بعد هذه المصيبة النازلة فتوجه بعدها الى مدح الأنصار الذين كان لهم باعُ طويل في نصرة الإسلام.

حقاً إن شاعرنا ـ رحمه الله ـ كان يخصُّ قومه الأنصار بمدائحه حتى عندما كان يمتدح المسلمين ويهجو المشركين فهو لا ينسىٰ جماعته الأنصار في جلِّ قصائده التي قالها في حياة الرسول (ﷺ) وبعده. ولكأني به قد أراد بهذا السلوك أن يبتعد عما قد حصل من خلافات بسيطة بين القرشيين والأنصار حول الخلافة بعد غياب الـرسول الأكرم عن الجماعة، خصوصاً وقد جاوزت سنه السبعين، فلم يُعدْ قادراً أن يزج بنفسه في خلافات لا طائل من تحتها.

والدليل على ذلك أن من يقرأ ديوان هذا الشاعـر، يلمح بوضوح مدىٰ تعلق شاعرنا بقومه، وبقبيلته على الخصوص، فكان أذا ما مدح المسلمين لم ينسَ قومه الأنصار من الأوس والخزرج، الذي وجدَ فيهم الملجأ الوحيد والملاذ الفريد بعد أنتقال الرسول (ﷺ) الى الرفيق الأعلىٰ.

ففي قصيدة يمدح بها المسلمين ويخص الانصار دون سواهم قال:

بـأيـديهـم صـوارم مرهفات — وكـلُ مجرب فـاضي الكعـوب
بنـو الأوس الغـطارف وازرتهـا — بنـو النجـار في الـدين الصليب

وقال في موقعة أحد:

وقـد ضـاربت فيـه بنـو الأوس كلهـم
وكـان لهـم ذكـر هـنـاك رفـيـع
وحـامىٰ بنـو النجـار فيـه وضـاربـوا
ومـا كـان منهـم في الـلقـاء جـزوعُ
أولئـك قـومي سـادة من فـروعـهـم
ومـن كـل قـوم سـادة وفـروع

ولكأني بالشاعر قد أستكان للعـاطفة القبليـة، وهو يمـدح المقـاتلين من المسلمين في مـوقعـة أحـد، ولم يكـونـوا كلهم من الانصار، ولا من الأوس والخزرج، بل كانوا خليطاً من المهاجرين والأنصار.

لا أريد أن أقلل من قيمة هذا الشاعر، ولا من مواقفه تجاه الاسلام والمسلمين، ولكنها هي الحقيقة تظهر بكل وضوح لكل من يقرأ ديوان هذا الشاعر الكبير، الذي راح يميل الى فئة، دون غيرها من فئات المسلمين والانسان هو الانسان، قد يعتوره الضعف، وقد يتخلىٰ عن بعض مواقفه، في بعض الاوقات الحرجة.

هذا في رأي ـ هو السبب المباشر لسكوت الشاعر وخفوت صوته فترة من الزمن، ثم يعود فجأة لقول الشعر للأسباب التي ذكرتها.

وكان الأجدر بالشاعر وهو الذي عاش مع الرسول فترة طويلة ـ أن لا ينزلق ويكون منحازاً الى جهة ومجافياً أخرى كان عليه، وهو الذي أهتدىٰ بنور النبوة، أن لا ينحاز الى أحدىٰ الفرقتين المختلفتين، وأن يكون بشير خير ووسيطاً ما بينهما.

كان عليه أن يقوم بهذا الدور العظيم، ولكن نحن نريد والله لا يريد تلك مشيئة الله التي أرادها، ولا رادَّ لمشيئته.

قلنا إن العمر قد أمتد بصاحبنا حتى بلغ المائة وأنه في آخريات أيامه قد وهن وأصابه الضعف، وقد ذكر ابن قتيبة ان شاعرنا قد أصابه العمىٰ وأنه توفي في خلافة معاوية على الشام(١)

ان حياة هذا الشاعر، وما قدمه من شعر، هي خير ترجمة

---

(١) تحقيق ديوان حسان بن ثابت. د. حنفي ص١٠ : ط وزارة الثقافة والاعلام المصرية.

لفترات ثلاث مرَّ بها المجتمع العربي، فترة الجاهلية، والفترة الاسلامية وفترة بناء الدولة العربية، ولو أنه ضعف في آخريات أيامه فلم يقدم لنا صورة عن المجتمع الاسلامي في عهد الخلفاء الراشدين صورة حية ناطقة، كما فعل غيره من الشعراء.

مصادر شعره:

يذكر الدكتور سيد حنفي حسنين، الذي قام بتحقيق ديوان حسان بن ثابت الصعوبات التي واجهت الذين حاولوا ان يجمعوا شعر هذا الشاعر، أذ كانت جلَّ أشعاره مبثوثة في كتب السير والمغازي، وأمهات الكتب الادبية.

وسنذكر بعض المصادر التي أحتوت شعر هذا الشاعر وهي:

أ - **كتب المغازي**: لقد أهتم المسلمون بحياة الرسول، فدونوا عن حياته كل صغيرة وكبيرة، وأول من ألف في المغازي هو إبان بن عثمان المتوفىٰ سنة ١٠٥هـ كما يذكر ذلك حاجي خليفة في كشف الظنون.

كانت هذه المغازي تحوي الكثير من أشعار حسان، ثم جاء بعد إبان هذا أبن أسحق فألف كتاباً ضخماً سماه «المغازي» كذلك.

لم يصلنا هذا الكتاب، بل وصلتنا منه نتف من اشعار حسان في سيرة ابن هشام، وتاريخ الطبري، وكان أكثر هذا الشعر من

النوع الذي قيل في غزوات الرسول (ﷺ).

ب ـ الأنصار: لمّا كان الشاعر متعصباً للأنصار لايني يذكرهم في كل قصيدة يقولها، كان الانصار كذلك مولعين بترديد شعر حسان، ولأنه من الخزرج، فقد كانوا يحفظون له شعراً جاهلياً وكثيراً من الأشعار الأسلامية.

لقد أختلط شعر هذا الشاعر بغيره، ونسب أليه النحّالون كلاماً لم يقله، ولولا أن هيأ الله في المدينة أحد الرواة الموثوق برواياتهم، لما أستطعنا أن نعرف شعر حسان من غيره وهذا الراوي هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري المتوفىٰ ٢١٥هـ. وقد أعتمد عليه أبن هشام عندما نقل الى السيرة الكثير من أشعار حسان.

لقد أهتم المسلمون بأخبار حسان وبأخبار أبنه عبدالرحمن بن حسان فقد ذكر ابن النديم في الفهرست «إن للزبير بن بكار كتابين من خط ابن الكوفي هما، أخبار حسان، وأخبار عبدالرحمن بن حسان والزبير هذا راوية ونسّابه أشتهر بالأمانة والصدق، لذا فأن كتابيه السابقين يعتبران من أهم المراجع القديمة في أخبار حسان وأبنه عبدالرحمن.

جـ ـ المُحدِّثون: لقد نشط أهل الحديث ورواته في رواية أشعار حسان وخاصة ما تعلق منها بحياة الرسول (ﷺ).

ولقد نقل أبو الفرج الأصبهاني روايات بعض هؤلاء، أمثال

سعيد ابن المسيب، وأبن أبي الزناد، وأبن سيرين، وسعيد جبير وأبن شهاب الزهري وغيرهم.

د: **الرواة**: وقد تناقل الرواة شعر حسان، وكانوا يهتمون بحفظه ومن أولئكم، ابو عمرو الشيباني الراوية الكوفي، وأبن الأعرابي. وقد جمع أسحاق ابو عمرو الشيباني ـ وهو راوية في اللغة موثوق بروايته ـ جمع أشعار ما يزيد على ثمانين قبيلة ومما جمعه أشعار الأوس والخزرج، وكان ضمن أشعار هذين الحيينّ أشعار صاحبنا حسان.

ومما نُسب اليه من شعر حسان قصائد مقطعات تبدأ بالأبيات التالية:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء

والقصيدة التي تبدأ بالبيت:

يـاعـين جـودي بـدمـع منـكِ اسبـال
ولا تمـلِن مـن سـحً وإعـوال

والقصيدة التي مطلعها:

الله أكرمنا بنصر بنبيه وبنا أقام دعائم الأسلام

أما أبو عبدالله محمد بن زياد، المعروف بابن الإعرابي، فهو نحوي وراوية أشعار، وقد نسبت اليه القصائد التي تبدأ بالأبيات التالية:

ياراكبا إما عرضت فبلِّغن　　على النأي متى عبدشمس وهاشما

والقصيدة التي أولها:

قد رامني الشعراء فانقلبوا　　مني بأنوق ساقط النصل

والقصيدة التي أولها:

إلا والله ما تدري هذيل　　أملح ماء زمزم أم مشوب

نحن لا ننكر ان الأنتحال قد أصاب شعر حسان، كما أصاب شعر غيره في الجاهلية، لأن الانتحال ظاهرة تكاد أن تكون شيئاً طبيعياًلأننا لو أستقرأنا الشعر الجاهلي لوجدنا ان صفة الأنتحال كانت ملازمة لكل شاعر. حتى ان بعض النقاد، دفعهم ذلك الى الشك بوجود شعر أسمه شعر جاهلي.

وأسباب الأنتحال كثيرة، سنذكر بعضاً منها.

لاشك أن حسان بن ثابت كانت له مكانة مرقومة في نفوس المسلمين بأعتباره شاعر النبي (ﷺ) واللسان الذي كان يذوذ عنه وعن المسلمين فاذا ما مدح هذا الشاعر شخصاً سما في نفوس المسلمين وعلت مكانته واذا ما اشار الى قبيلة رفعها، لأن دوره كان دوراً خطيراً، وخاصة في حياة الرسول (ﷺ) فلهذا تهافتت القبائل تتلمس بين أشعاره قصيدة أشار فيها الى مكانتها في الأسلام، للتباهى بها بين القبائل خصوصاً أذا علمنا ان الخصومات ما بين القبائل، والتفاخر ما بين رؤسائها وأعيانها ظل حتى بعد الاسلام.

فاذا لم تجد القبيلة شيئاً عنها وعن أيامها وجهادها أنتحلت أشعاراً ونسبتها الى شاعرنا يقول أبن سلاّم في كتاب طبقات فحول الشعراء «حسان بن ثابت كثير الشعر جيده، وقد حمل عليه، ما لم يحمل على أحد».

ولقد نفى حفيده سعيد بن عبدالرحمن بن حسان قصيدة نسبت الى جده في هجاء أبي لهب، فقال: اليست هذه الأبيات نفسُ حسان ولا نكهة شعره(١) والأبيات هي:

فلو كنت حراً من أكارم هاشم ... وأشرافها فيها منعت المظالما
سما هاشم للمكرمات وللعلا ... وغودرت في كاب من اللؤم جاثما

---

(١) ابن سلام «طبقات فحول الشعراء. ص ١٧٩. ط دار المعارف».

وتنسب اليه كذلك قصيدة في سبِّ عبدالرحمن بن عوف مطلعها:

سائل قريشاً وأحلافها متى كان عوف لها ينتسب

قال العدوي «هذه القصيدة ليست من صحيح شعر حسان، لأن نسب عبدالرحمن بن عوف صحيح لا غمز فيه»(١)

وقال أحد أحفاد عبدالرحمن بن عوف، عندما سمع أبيات القصيدة: «قد أجتهدوا علينا فما أخرجونا من العرب على حال».

والمعروف ان عداء كان بين آل الزبير وبين قوم عبدالرحمن ابن عوف، ولا يستبعد ان أحد الزبيرين قال هذه الابيات ونسبها الى شاعر النبي حسان بن ثابت.

وثمة شيء آخر دعا الناس ان ينسبوا الى شاعرنا شعراً لم يقله، فالخصومات السياسية وتعددالأحزاب، جعل الناس ينظمون أشعاراً ويرفعونها الى حسان.

فالأمويون الذين راحوا يتباكون على عثمان مطالبين بآخذ الثأر من قاتليه دبجّوا أبياتاً ونسبوها للرجل منها:

---

(١) ديوان حسان بن ثابت تحقيق د. سيد حنفي ص٢٤. ط الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٧٤

أبلغ معاوية بن حرب مالكاً ولكل أمر بستراد قرار
لا تقبلن دنيّة أعطيتها أبداً ولما تألم الأنصار
حتى تبار قبيلة بغيلة قوداً، وتخرب بالديار ديار
وتجيء من نقب الحجاز كتيبة وتسيل بالمستلئمين صرار

وكذلك فعل الزبيرون، إذ صاغوا مقطوعات يمتدحون بها أنفسهم ونسبوها الى شاعرنا.

ومما يروىٰ «ان الزبير بن العوام (رض) مر يوما بمسجد الرسول (ﷺ) وحسان ينشد شعراً، وقد أزور الناس عنه.

فقال لهم الزبير، ما لكم لا تستمعون؟

والله لطالما أصغىٰ اليه صاحب هذا القبر، وأجازه الجوائز السنية. فالتفت اليه حسان وراح يمدحه قائلا :

أقام على عهد النبي وهديه حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه يوالي وليَّ الحقِّ والحق أعدل(١)

---

١ ـ الأغاني: أبو الفرج الأصبهاني. جـ٤ ص١٤٤ ط دار الثقافة المصرية.

وكذلك فعل العباسيون فنظموا قصيدة ونسبوها الى حسان وكان موضوع القصيدة رثاء جعفر بن أبي طالب (رض) ومنها:

تأوبني ليل بيثرب أعسر　　وهم أذا مانوّم القوم مسهر
بها ليل منهم جعفر وأبن أمه　　عليٌّ ومنهم أحمد المتخير

وحمزة والعباس منهم، ومنهم
عقيل، وماء العود من حيث يعصر
هم أولياء الله نزل حكمه
عليهم وفيهم والكتاب المطهر

وهكذا نرى ان القبائل والأحزاب، كانت تتصيد القصيدة من حسان لتقوي بها مركزها الديني، فاذا لم تجدها، أندفعت تصوغها وتنسبها الى هذا الشاعر يقيناً منها، ان مجرد أسمه، يُضفى على القبيلة شرفاً وعلى الأحزاب والجماعات قوة وعزة.

نماذج من شعره

وقال يرد على ابن الزبعري في يوم أحد على قصيدة قالها هذا الأخير متشفياً بما نال المسلمين في هذا اليوم ومنها؛

١ ـ ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
٢ ـ قد قتلنا القرم من أشياخهم	وعدلناه ببدر فأعتدل

أما حسان فرد عليه بالأبيات التالية:

١ ـ ذهبت بابن الزبعري وقعة	كان منا الفضل فيها لو عدل
٢ ـ ولقد نلتم ونلسنا منكم	وكذاك الحرب أحيانا دول
٣ ـ إذ شددنا شدة صادقة	فأجاناكم الى سفح الجبل
٤ ـ إذ تولون على أعقابكم	هربا في الشعب أشباه النمل
٥ ـ وعلونا يوم بدر بالتقى	طاعة الله وتصديق المرسل
٦ ـ وأبدنا من كريم سيد	ماجد الجدين. مقدام بطل
٧ ـ وشريف لشريف فاضل	لانباليه كذا وقع الأسل
٨ ـ حين أعلنتم بصوت كاذب	وأبو سفيان، كي يعلو هبل
٩ ـ لم يفوتونا بشيء ساعة	غير أن ولوا بجهل وفشل

ابن الزبعري شاعر كان يهجو الرسول (ﷺ) وجماعته وكثيرا ما كان يتعدى له حسان ويلقمه حجراً، فيسكته ويخرسه.

وفي البيتين يشتفي بما حصل للمسلمين في يوم أحد، ويذكر المسلمين بأن الكفار قد أخذوا بثاراتهم من المسلمين.

شرح الابيات؛

١ ـ لو أنصف الشاعر ابن الزبعري وكان عادلا في أقوالـه لجعل الفضل لنا وليس لهم في موقعة أحد.

٢ ـ لقد كان النصر لكم، كما كان النصر لنا يوم بدر، وهذه هي حال الدنيا يوم لك ويوم عليك.

٣ ـ اذ نحن هاجمناكم وأطبقنا عليكم فألجئناكم أن تتراجعوا الى سفح جبل أحد.

٤ ـ إذ وليتم الأدبار على أعقابكم، وأنتم تتفرقون في الشعب، كما يتفرق النمل في شعاب الأرض.

٥ ـ وقد علونا عليكم يوم بدر، وكان سبب علونا هو أننا نطيع الله ونصدق بالرسل والأنبياء.

٦ ـ وكم أهلكنا من سادات كـرام، أمجاد في أقـوامهم أبطال لا يهابون الموت.

٧ ـ وكم من شريف مفضال لا نهتم به، بل تركناه للرماح تنوشه، والسيوف تنتابه.

٨ ـ حينما أعلنتم بأصوات خافتة هامدة، ومعكم أبو سفيان يردد «أعل هبل» فرد عليه المسلمون الله أعلى وأجل.

٩ ـ لم يدم أنتصارهم ألا لحظات، لأنه أنتصار الخائفين، إذ سرعان ماولوا ترفرف عليهم رايات الجهل والفشل.

وقال يرثى النبي (ﷺ):

١ ـ آليت حلفة بر غير ذي دخل
مني ألية بر غير أفناء

٢ ـ بالله ما حملت أنثى ولا وضعت
مثل النبي رسول الرحمة الهادي

٣ ـ ولا مشى فوق ظهر الأرض من أحد
أوفى بذمة جار أو بميعاد

٤ ـ من الذي كان نوراً يُستضاء به
مبارك الأمر ذا حزم وإرشاد

٥ ـ مُصدقاً للنبيين الألي سلفوا
وأبذل الناس للمعروف والجادي

٦ ـ خير البرية، إني كنت في نهر
جار فاصبحت مثل المغرد الصادي

٧ ـ أمسى نساؤك عطلن البيوت فما
يضربن فوق عُرى سدٍ بأوتاد

٨ ـ مثل الرواهب يلبسن المسوح وقد
أيقن بالبؤس بعد النعمة البادي

شرح الابيات ؛

١ ـ لقد أقسمت، وانا صادق في قسمي غير كاذب.

٢ ـ إنه ما حملت أنثى بمثل ما حملت آمنة بالنبي، ولا وضعت أنثى مثل ما وضعت أم الرسول (ﷺ).

٣ ـ ولا خلق من أنسان فوق هذه الغبراء، هو أو في بالذمة لجاره منك يا رسول الله، وما خلق الذي يباريك في الحفاظ على المواعيد. فهل هناك من يقارب أو يداني أكرم الخلق في هذه الخلائق العالية؟

٤ ـ لقد كنت نورا يشع على أقوام فيستنيرون به ويستضيئون بنوره في الايام الحالكات، كما كانت كل أوامرك مباركة تتصف بالأرشاد والتوجيه والحزم.

٥ ـ لقد صدقت كل الرسل الذين سبقوك وآمنت بهم كما آمنت بربك، وكنت أكثر الناس سخاء، وأكثرهم عطاء لمن جاءك يرجو أحسانك ورفدك.

٦ ـ يا خير الناس وأشرفهم، لقد كنت قرب نهر أعبُّ منه الماء السلسبيل يوم كنت بجانبي، وها أنت مد فارقتني وتركتني لوحدي ظمآناً من حلو بيانك وسائغ بلاغتك.

٧ ـ وهاهن أمهات المسلمين، قد خيم على بيوتهن البؤس بعد أن كان النعيم والعز يرفرفان على تلك البيوت.

٨ ـ حتى أصبحن مثل الراهبات اللواتي تقشفن وزهدن بالحياة، ومَنْ الذي لا يكره الحياة بعد مفارقتك؟

وقال رداً على شاعر تيميم وقد جاء وفد منهم الى رسول الله (ﷺ) وكانوا قد لبسوا أفخر الثياب وتزينوا بزي الأعاجم، وكان شاعر الوفد الزبرقان بن بدر، فقال قصيدة مطلعها:

نحن الكرام فلاحيٌ يفاخرنا ... فينا الملوك، وفينا السادة الرُّفعُ

فأجابه حسان بهذه القصيدة العصماء؛

١ ـ إن الذوائب من فهرٍ وأخوتهم ... قد يبنوا سُنه للناس تتبع
٢ ـ يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الآله، وبالأمر الذي شرعوا
٣ ـ قوم أذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
٤ ـ سجيّة تلك فيهم غير محدثه ... إن الخلائق ـ فاعلم ـ شرُّها البدع
٥ ـ لا يجهلون وإن حاولت جهلهم ... في فضل أحلامهم عن ذاك متسع
٦ ـ اعفّه ذكرت في الوحي عفتهم ... لا يطيعون ولا يرديهم الطمع
٧ ـ خذ منهم ما أتوا عفواً أذا غضبوا ... ولا يكن همك الأمر الذي منعوا
٨ ـ لا فخر ان هم أصابوا في عدوهم ... وان أصيبوا فلا خورٌ ولا جزع
٩ ـ أكرم بقوم رسول الله قائدهم ... إذا تفرقت الأهواء والشيع

لقد ترى - عزيزي القارىء - في هذه الأبيات القوى الشاعرية مجنحة، فالمعاني جليلة تتخلها جوقة موسيقية شاعرية تكاد تأخذ بمجاميع القلوب، الى جانب تلك الصياغة الفنية، التي لا تخلو من سمو وأبداع، وذاك في رأي راجع الى أن موضوع القصيدة هي المفاخرة، وهي من المواضيع الجاهلية، وهي رد لابد أن يفعله شاعر النبي (ﷺ) على من جاء يفاخر المسلمين ويباهي وهي مباهاة لا تخلو من رياء وأدَّعاء.

شرح الابيات

١ - ان السادة من الفهريين قد سنّوا سنة، مازال الناس يتبعونها ولا يحيدون عنها.

٢ - يرضى بتلك السنن والشرائع من كانت طبيعته مخافة الله وطاعته، والابتعاد عن نواهيه.

٣ - ومن تلك السنن؛ أذا حاربوا أنزلوا الخسران والهزيمة بأعدائهم وأذا أرادوا ان ينفعوا أحلافهم نفعوهم.

٤ - هذه هي طبيعتهم التي جُبلوا عليها، ليسوا في ذلك متكلفين وان أسوأ الطبائع هو التكلف.

٥ - لا يعرف الجهل اليهم طريقا، ومهما حاولت ان تستثير منهم دواعي الجهالة فأنك لا تستطيع ذلك.

٦ ـ لقد وصفهم الله بالعفة، فهم لا يتصفون بصفات رديئة، وهم بعيدون كل البعد عن الأطماع ومتع الحياة.

٧ ـ تستطيع أن تنال منهم ما تريد، ولكن دونما قسر، فاذا ما أمتنعوا عن أشياء فلا تحلم بأنك ستنال منها شيئاً.

٨ ـ لا يعرفون الفخر ولا المفاخرة أذا ما أنتصروا على أعدائهم اما اذا غلبوا فلا يعتورهم الوهن والخور.

٩ ـ وهل هناك أكرم من قوم يقوذهم رسول من الله ؟ فهم متماسكون متحدون حول أهداف الدين العتيد بينما الآخرون قد تفرقوا شيعاً وأحزاباً.

وقال يرثى عثمان (رض)

١ ـ يـا للرجـال لـدمـع هـاج بـالسنن
لـقـد عجبت لمن يبـكي عـلى الـدِّمن

٢ ـ إني رأيـت أمـين الله مـضـطهـداً
عثـمان رهنـاً لـدى الأحـداث والـكفـن

٣ ـ يـا قـاتـل الله قـومـاً كـان شـأنهم
قـتـل الامـام الأمـين المسـلم الـفـطن

٤ ـ مـا قـتـلوه عـلى ذنـب ألمَّ بـه
ألا الـذي نـطقـوا إفـكـاً ولم يـكـن

٥ ـ أذا تـذكـرتـه فـاضـت بـأربـعـة
عـين بـدمـع عـلى الخـديـن محتِـتـن

شرح الابيات :

١ - إني لأتوجع ممن يبكي على الأطلال والدهر، ولا يبكي على ضياع سنن الشريعة السمحاء، بموت الأمام العادل عثمان (رض).

٢ - لقد رأيته وقد أصابته النكبات، ونزلت به الأحداث فهو رهين الكفن، بعد أن أغتيل.

٣ - إني لأدعو على من قتلوه بالبلوى، لأنهم قتلوا إماماً أمينا مسلماً فطناً.

٤ - وما قتلوه لذنب أرتكبه، ولكن لحقد دفين وكذب قالوا فيه، وهو بريء منه.

٥ - عندما أتذكر ما أصابه من بلوى، تسيل دموعي على الخدين مدرارا.

وقال يرثى الأمام العادل عمر بن الخطاب (رض) :

١ - فجَّعنا فيروز لا دَرَّ درّه
بأبيض يتلوا المحكمات مُنيب

٢ - رؤوف على الأدنى غليظ على العدا
أخي ثقة في النائبات نجيب

٣ - متى ما يقل لا يكذب القول فعله
سريع الى الخيرات غير قطوب

٤ - مطيع لأمر الله بالحق عارف
بعيد الأنام عنده كقريب

شرح الأبيات :

١ ـ فيروز الفارسي هو قاتل الامام العادل عمر بن الخطاب رض الله عنه والسبب معروف لأن عمراً هو الذي هدَّ الأمبراطورية الفارسية آلمنا هذا الفارسي الحاقد بقتل هذا الامام الذي كان يتلو كتاب الله عز وجل وهو متجه اليه.

٢ ـ رحيم بالضعفاء ولكنه قاسي على أعداء الاسلام يُرتجى في كل نائبة، لأنه من النجباء.

٣ ـ أنه يقرن الفعل بالقول، لا يتوانى عن فعل الخير وليس كأولئك الذين تتجهّم وجوههم أذ دعاهم الناس الى فعل الخير.

٤ ـ لا يعصى الله ـ سبحانه وتعالى ـ فقد عرف حقوق الله يعامل الغريب كالقريب.

قال يرثي أبا بكر :

١ ـ أذا تذكرت شجواً من أخي ثقة
فأذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

٢ ـ خيرُ البرية أتقاها واعدلها
بعد النبي، وأوفاها بما حملا

٣ ـ والثاني الصادق المحمود مشهده
وأول الناس منهم صدق الرسلا

٤ ـ يحيا حميداً لأمر الله متّبعاً
بهدى صاحبه الماضي، وما أنتقلا

شرح القصيدة :

١ ـ أذا أصابك الحزن على فراق عزيز، فلتتذكر أخاك الصديق أبا بكر.
٢ ـ فهو من خير المسلمين أسلاماً، وأكثرهم تقوى وعدة فيأتي بعد النبي (ﷺ) في نبل ما يحمله من صفات أسلامية عالية. ويكفيه فخراً، إنه أستطاع أن يحافظ على رسالة الاسلام من المرتدين، فلولا وقفته لتضعضع الاسلام.
٣ ـ يشير في هذا البيت الى خروجه مع الرسول (ﷺ) الى المدينة فكان ثاني أثنين أذ هما في الغار، وهو أول من صدق الرسول من الرجال.
٤ ـ فقد عاش حياته وهو يسير على نهج الرسالة السماوية فما حاد عن تعاليم الرسول (ﷺ) وما انتقل عنها.

قال يرثى أبطال مؤتة زيداً وجعفراً وعبدالله بن رواحة وقيل هي مر الشعر المنحول عليه:

١ ـ تأويني ليل بيثرب أعسر	وهمٌ بذا ما نوم القوم مسهر
٢ ـ لذكرى حبيب هيجت لي عبرة	سفوحاً، وأسباب البكاء التذكر
٣ ـ بلاء وفقدان الحبيب بلية	وكم من كريم يُبتلى ثم يصبر
٤ ـ فلا يبعدنَّ الله قتلى تتابعوا	بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

٥ - وزيد وعبدالله حين تتابعوا جميعاً، وأسباب المنية تخطر
٦ - غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم الى الموت ميمون النقيبة أزهر
٧ - وكنا نرى في جعفر بن محمد وفاء وأمراً حازماً حين يأمر
٨ - ومازال في الأسلام من آل هاشم دعائم عزّ لا تزول ومفخر
٩ - بها ليل منهم جعفر وأبن أمه عليٌ ومنهم أحمد المتخير
١٠ - وحمزة والعباس منهم، ومنهم عقيل، وماء العود من حيث يُعصر
١١ - همُ أولياء الله نزل حكمه عليهم وفيهم، والكتاب المطهر

شرح الأبيات ؛

١ - لقد أنتابتني ليالي مزعجة. بتُّ سهران، بينما راح الناس يغطون في نوم عميق.
٢ - وذلك عندما تذكرت أخاً وحبيباً فسفحت العبرات لأنه فارقني شهيداً.
٣ - إن فقدان الأحبة من أكبر الأرزاء، ولكن الكريم يُصاب النكبات فيصبر عليها ولا يجزعُ منها.
٤ - فلا يبعد الله سبحانه وتعالى عن خيالي شهداء، تتابعوا الواحد تلو الآخر في يوم مؤتة.
٥ - وهم جعفر وزيد بن حارثة الكلبي، مولى رسول الله (ﷺ) وعبدالله بن رواحة الأنصاري، لحق كل بالآخر، وكأنهم على

موعد مع الشهادة. وكلهم كان مقداماً مظفراً في قتاله.

٦ ـ يوم ساروا بالمؤمنين يقودهم فارس شهم، تشهد له سوح المعارك بالأنتصارات.

٧ ـ وكان جعفر يأتمر بأوامر الرسول (ﷺ) وفياً له، وحازماً في تنفيذ كل ما يطلبه الرسول منه.

٨ ـ فأن كان قد ذهب، وهو البطل المغوار، فأن في بني هاشم أبطالا لا يقلون عنه في الشجاعة، فهم دعائم الدين لا يمكن ان تزول، فهم أهل المفاخر والمكارم.

٩ ـ هم السادة الأماجد وجعفر واحد منهم وأخوه علي الذين أختارهم الله لحمل الرسالة ونشرها في أنحاء المعمورة.

١٠ ـ ومنهم الحمزة والعباس وعقيل، وكلهم من آل هاشم فكما ان ماء الورد يستخرج من أعواد الورود والورود نفسها، فكذلك هؤلاء السادة فأنهم منحدرون من آل هاشم، كما ينحدر ماء الورد من عود الورد.

١١ ـ هم أولياء الله الذين نزل عليهم الدين. وعليهم نزل الكتاب العزيز، لأن الرسول (ﷺ) هاشمي كذلك.

وقال يوم قريضة :

لقد لقيت قريضة ما ساءها وما وجدت لذل من نصير

أصـابهـم بـلاء كـان فـيـهـم سوى ما قد أصاب بني النضير
غـداة أتـاهـم يهـوي اليـهـم رسـول الله كـالـقـمـر المـنـير
لـه خـيـل مجـنـبـة تـعـادى بفـرسـان عليـهـا كـالصـقـور
تـركنـاهم ومـا ظفـروا بشيء دمـاؤهـم عليـهـم كالعبير
فهم صرعى تحـوم الـطير فيهم كـذاك يُدان ذو الغتـد الفخـور
فـاردف مثلهـا نصحـاً قـريشـاً من الـرحمن ان قبلت نـذيـري

شرح الأبيات ؛

بنو قريضة وبنو النضير حيّان من اليهود وقفا ضد الدعوة الاسلامية وكانوا يناصرون قريشاً سراً وعلانية، فادّبهم الرسول (ﷺ) وأبعدهم عن المدينة المنورة.

يقول الشاعر لقد نزل البلاء على بني قريضة، فما وجدوا لهم من نصير ولا معين، ومن قبلهم كان بنو النضير قد ذاقوا الهزيمة والموت على أيادينا، عندما توجه رسول الله نحوهم بغرته الميمونة وكأنه القمر في طلعته، ومعه فرسان على خيول تنطلق كأنها العقبان، وقد غادرناهم ولم ينالوا منا شيئاً سوى دمائهم ظلت على أجسادهم وكأنها مصبوغة بالزعفران تحوم فوقها الطيور الكاسرة، وهكذا مصير كل مخبول فخور بنفسه، فهلاّ ملنا على قريش وأذقناهم الويل والثبور وهذا بالنسبة أليهم نذير من الله سبحانه وتعالى.

قال مفتخراً بالأوس والخزرج، وقد تطرق لأسماء بعضهم، هم سعد بن معاذ، وسعد بن زيد، وسعد بن الربيع، وسعد بن عثمان وسعد بن عمرو وغيرهم.

١ - أرني سعـودا كـالسعـود التي سـمت
بمـكـة مـن أولاد عـمـرو بـن عـامـر
٢ - أقـامـوا عمـود الـدين حتى تمكنت
قـواعـده بـالمـرهـفـات الـبـواتـر
٣ - هـم عـقـدوا للهثم وفـوا لـه
بمـا ضـاق عـنـه كـل بـاد وحاضر

وقال يوم بدر، يمتدح الرسول (ﷺ) والمسلمين

٤ - مستشعـري حـلق المـاذي يقـدمـهم
جلد الـنـحـيـزة مـاض غـير رعـديـد
٥ - أعـني الـرسـول فـأن الله فـضـلـه
عـلى الـبريـة بـالـتـقـوى وبـالجـود
٦ - وقـد زعمتم بـأن تحمـوا ذمـاركم
ومـاء بـدر زعـمـتـم غـير مـورود
٧ - وقـد وردْنـا ولم نهدد لـقـولـكـم
حـتى شربـنـا رواء غـير تـصـديـد

شرح الابيات ؛

١ ـ هلا تستطيع قريش ان تقدم رجالا ابطالا، كما قدمنا نحن في موقعة بدر.
٢ ـ لقد استطاعوا ما جبلوا عليه من قوة عزم ودين أن يقيموا قواعد الدين بالسيوف المرهفات.
٣ ـ هم تعاهدوا مع الله تعالى، فوفوا بما تعاهدوا عليه بعد أن عجز عن ذلك غيرهم من أبناء المدن والبادية.
٤ ـ لقد أرتدوا الدروع البيضاء يتقدمهم زعيمهم رسول الله (ﷺ) بتلك الطبيعة، التي يكللها الثبات والايمان
٥ ـ هو رسول الله، الذي بعثه للناس كافة جواداً كريماً ورحمة للعالمين.
٦ ـ لقد ظن لكم بأنكم قادرون ان تدافعوا عن أنفسكم وان تكونوا حاجزا ما بيننا وبين ماء بدر.
٧ ـ ولكننا تغلبنا عليكم، وأجتحنا صفوفكم، حتى وصلنا الى ماء بدر فأرتوينا منه حتى الشبع.

معاني الكلمات

أستشعر: لبس: الماذي: الدرع الأبيض
النحيزة: الطبيعة: تعريد. الشرب الردي.

وقال متغزلا ومفتخراً:

١ - أنسيم ريحك أم خيار العنبر
يا هذه أم ريح مسك اذخر
٢ - قولي لطيفك أن يصد عن الحشا
سطوات نيران الأسى ثم أهجري
٣ - وأنهي رماتك ان يُصبن مقاتلي
فينال قومك سطوة من معشري
٤ - إنّا من النفر الذين جيادهم
طلت على كسرى بريح صرصر
٥ - وسلبن تاجي ملك قيصر بالقنا
واجتزن باب الدرب لأبن الأصغر
٦ - كم قد ولدنا من كريم ماجد
دامي الأظافر أو ربيع ممطر
٧ - خلقت أنامله لقائم مرهف
ولبذل مكرمة وذروة منبر
٨ - يلقى الرماح بوجهه وبصدره
ويقيم هامته مقام المغفر
٩ - ويقول للطرف أصطبر لشبا القنا
فهدمت ركن المجد إن لم تصبر

١٠ ـ وأذا تـأمـل شخص ضيف مقبـل
متسربـل سربـال ثـوب أغـبر
١١ ـ أو مـا الى الكومـاء هـذا طـارق
نـحـرتـني الأعـداء إذا لم تـنـحـري

شرح الأبيات

١ ـ اهذه رائحتك التي أشمها، أم هي رائحة العنبر، أم هو أريج المسك حملته الينا النسائم؟
٢ ـ إذا ماصممتِ على الهجران، فامنعي عن طيفك وسطواتـه، وتلك النيران التي يؤجهها في القلب.
٣ ـ وحوّلي نظراتك القاتلة عني، وأذا ما نلت مني ما أردت فسينال كذلك قومك من عشيرتي ما يريدون.
٤ ـ نحن الذين أطلت جيوشهم على حدود فارس، ربما أراد بذلك يوم ذي قار الذي أنتصر فيه العرب ـ بل بعض قبائل العرب ـ على الفرس.
٥ ـ ونحن ـ أي المسلمين ـ الذين أخضعنا قيصر الروم، واستطعنا ان تجتاز حدود الصين.
٦ ـ نحن لا نلد ألا الكرام والا الأبطال.
٧ ـ أبطال ما خلقت أكفهم ألا لتمسك سيفاً مرهفاً، أو كريم ما

خلق الا لينشر المكارم أو بليغ ذرب مقامه ذرى المنابر.
٨ ـ أذا ما حام في الوغى يتلقى الرماح مستقبلا أياها لا مدبراً عنها فيجعل جسمه مكان الدرع.

٩ ـ ويلح على نفسه ان تصبر على القتال، قائلا لها، انـك ان لم تصبري على الموت والقتال، فيهدم ركن المجد، لأن الاحجام عن الجهاد، معناه الموت.

١٠ ـ وأذا رأى ضيفاً قد بدا عليه تعب السفر وغباره.
١١ ـ أشار الى الناقة العظيمة. . لقد ألم بنا ضيف، إذا لم أجعلك طعاما له، أتمنى لنفسي الموت من اعدائي.

وعندما أنتقل الرسول (ﷺ) الى الرفيق الاعلى أرتدت بعض القبائل وأمتنعت عن اداء الزكاة، فوقف لهم أبو بكر يحاربهم قائلا: «والله لو منعوني عقال بعير كانوا قد اعطوه لرسول الله (ﷺ) لحاربتهم عليه». فقالت قبيلة سليم وأحياء غيرهم لا نطيع أبا الفصيل يعنون به أبا بكر الصديق، فرد عليهم حسان قائلا:

١ ـ ما البكر ألا كالفصيل وقد ترى
إن الفصيل عليه ليس بعار
٢ ـ إنا وما حج الحجيج بيته
ركبان مكة معشر الأنصار

٣ - نغري جماجمكم بكــل مهنـد
ضرب القـدار ميـادي الأيـسـار
٤ - حتى تُكنـوه بفـحـل هنـيـدة
يحمـي الطروقـة بـازل هـدار

شرح الابيات

١ - ليس عيبا أن يكنى أبو بكر يأتي الفصيل.
٢ - ان يقيتم على غيِّكم وجهلكم، فسيلا قونكم معشر الأنصار.
٣ - وسنقطع جماجمكم من نحورها، كما تنحر الجزور بعد لعب الميسر في الجاهلية.
٤ - ألا ان تكنوه بفحل القوم وسيدهم الذي يطرق النياق المائة دونما جهد أو تعب.

معاني الكلمات:
نفري: نقطع: القُدار: الجرار: وقد يراد بها المِلَك المبادَى، ما بدا من النحر؛ الأيسار. القمار؛ الهنيد: مائة ناقة.

وقال في يوم الخندق مشيراً الى مقتل عمرو بن ودَ على يد الامام على (رض)

١ ـ لقد جذعت آذان كعب وعامر
لقتل ابن عبد ثم حزت أنوفها
٢ ـ وحان ابن عبد أذ هوى في رماحنا
كذاك المنايا حينها وحتوفها
٣ ـ أصيبت به فهر فلا أجتبرت لها
مصائب باد حرُّها وشفيفها
٤ ـ ورد نطيحا كبشها وجموعها
وولت فلم ترجع جميعا صفوفها
٥ ـ وبعد فلا تنفك تنزل بينهم
قوارع ذل لا ترد صروفها
٦ ـ وأخرى ببدر خاب فيها رجاؤها
فلم تُغن عنها نبلها وسيوفها
٧ ـ وأخرى وشيكاً ليس عنها تحول
يُصم المنادى جرسها وصقيعها

شرح الأبيات :

١ ـ لقد خذل الاعداء، وقطعت آذانهم، بعد ان قتل بطل من ابطالهم هو عمرو بن ودّ، الذي صرعه الامام علي رضى الله عنه في هذا اليوم.

٢ ـ لقد حانت منية هذا الرجل، فهوى تحت رماحنا، وللمنايا والآجال مواعيد، فكانت حتوفكم على أيادينا.

٣ ـ لقد أصيبت به قبيلة فهر، هي مصيبة لم توازيها مصيبة أخرى ولو كان وقع المصائب الاخرى شديدا على نفوسهم.

٤ ـ وهكذا رجع مغلوبا كبيرها وقائدها، أما الجيوش فقد أندحرت وتبعثرت صفوفها.

٥ ـ فهم سيلاقون منا الهجمات تلى الهجمات، التي ستنزل بهم الهزيمة بحيث تجعل صفوفهم مفرقة دائما وأبدا.

٦ ـ كما حصل لهم يوم بدر، حيث ذاقوا الأمرين من هجماتنا عليهم.

٧ ـ وأنهم قريبا ستلحقهم الهزيمة الكبرى، يوم سنكر عليهم بجيش لجب، يجعلهم شذر مذر.

كانني بحسان بن ثابت، وأنا أقرأ له هذه الابيات، بساحة شاعر جاهلي يفتخر بغلبة قبيلته على قبيلة أخرى. حيث لا نجد فيها ولا أشارة الى الدين الجديد، ولا تلميحاً بما فرضه الله على المسلمين من جهاد، وعلى الشهداء منهم ان ينزلوا جنات الخلد، وكثيراً مانرى حسانا ينسى واقعه الجديد ويسرح مع الماضي السحيق، حيث كان يصول ويجول في الجاهلية وهذا شيء طبيعي لا نلومه عليه، لأن أي انسان لا يستطيع ان ينفصل كل الانفصال عن الماضي، فأحياناً يعرج عليه دون وعي منه. وهذا ما كان يحصل لحسان بن ثابت في كثير من أشعاره.

وقال في يوم بدر

فـما نخشى بحول الله ـ قـومـاً ... وإن كـثروا وأجمعت الـزحـوف
إذا مـا الـبـوا جمـعـاً علينـا ... كـفـانـا حـدَّهـم رب رؤوف
سمـونـا يـوم بـدر بـالعـوالي ... سراعـاً ما تضعضنـا الحتـوف
فلم تـر عصبـة في النـاس أنكى ... لمن عـادوا اذا لحقت كشـوف
ولـكـنـا تـوكـلنـا وقلنـا ... مـآثـرنـا ومعقلنـا السيـوف
لقينـاهم بهـا لمـا سمـونـا ... ونـحن عـصـابـة وهم ألـوف

الأبيات سهلة وواضحة، لا تحتاج الى شرح.

وقال ايضاً

أخـلاء الـرخـاء هـم كـثـير ... ولـكـن في الـبـلاء هـم قـليـل
فـلا يغـررك خلة مـن تؤاخي ... فـمالـك عنـد نـائبـة خليـل
وكـل أخ يـقـول أنـا وفيٌّ ... ولكن ليس يفعـل مـا يقـول
سـوى خـل لـه حسب وديـن ... فـذاك لمـا يقـول هـو الفعـول

يروى ان أبا جهل كان يلبس ثيابا خضراً، ويطعم الناس في بيته يدخلهم من باب، ويخرجهم من أخرى. . . فقال حسان فيه؛

فأن تكُ مـطعـام الـعشيـات مـن غـنى
فـأنـك حـيّـاد عـن الحـق مـانـع
وزادك ذم في الحـيـاة، وأن تمـت
فـحـظك ركـن مـن جـنهـم واسـع

وقال يهجو الحماس، وهم بنو ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب

١ ـ اما الحماس فـأني غير شاتمهم	لاهم كـرام ولا عـرض لهم خـطر
٢ ـ قـوم لئـام أفـل الله عـدتهم	كـما تساقط حـول الفقحـة البعر
٣ ـ فأن ريحهم في الناس اذ برزوا	ريـح الكـلاب أذا مـا بلهـا المـطر
٤ ـ أولاد حام فلن تلقى لهم شبهاً	ألا التيـوس على أكتـافهـا الشـعـر
٥ ـ ان سـابقوا سبقـوا أو نافـروا نفروا	أو كاثروا أخذاً من غيرهم كـثروا
٦ ـ تلقى الحماسي لا يمنعك حرمته	شبه النبيط أذا أستعبدتهم صـبروا

شرح الابيات

١ ـ اني لا أتعرض بالشتيمة والهجاء، الى أناس ليسوا بكرام الناس وليسوا ممن يحسب لهم حساب.

٢ ـ هم لئام ضعاف تتناثر الاسلحة من أياديهم كما يتناثر البعر . من أست الشاه.

٣ ـ لهم رائحة كريهة تشبه رائحة الكلاب، عندما تتساقط عليها الامطار. في هذه الحالة تكون رائحة الكلاب كريهة جداً.

٤ ـ سود الوجوه ينتسبون الى حام، لا يشبههم ألا التيس وقد تدلى الشعر على كتفيه.

٥ ـ ان الفشل يلاحقهم دائما فاذا تسابقوا مع غيرهم سبقهم، وأذا تفاخروا كان الفخر لغيرهم عليهم، أو تكاثروا، كانوا أقل الناس عدداً، وأقلهم خطراً.

٦ ـ ان الحماس لا يغار حتى على حرمته وأمرأته، لقد تعودوا الذل، وأستغذبوا العبودية.

وقال مفتخراً بالأنصار

١ ـ لك الخير غضي اللوم عني فأنني
أحب من الإخلاق ما كان أجملا

٢ ـ ذريني وعلمي بالامور وسيمتي
فما طائري فيها عليلا بأخيلا

٣ ـ الم تعلمي إني أرى البخل سُبَّة
وأبغض ذا اللونين والمتنقلا

٤ ـ أذا أنصرفت نفسي عن الشيء مرة
فلست عليه آخر الدهر مُقبلا
٥ ـ تسود منا كل اروع بارع
أغر تراه بالجلال مكللا
٦ ـ بني العز بيتاً فاستقرت عماده
علينا وأعيا الناس أن يتحولا
٧ ـ وأنك لن تلقى من الناس معشراً
أعز من الأنصار عزاً وأفضلا
٨ ـ لنا حرّة مأطورة يجباها
بني العز فيها بيته فتأهلا
٩ ـ بها النخل والأعناب تجري خلالها
جداول قد تعلو رقاماً وجرولا
١٠ ـ جعلنا لها أسيافنا ورماحنا
من الجيش والاعراب كهفاً ومعقلا
١١ ـ يخير فلا يخشى البوادر جارنا
ولاقى الفتى في دورنا متحولا

معاني الكلمات

الحرة : أرض بها حجارة، رقاماً : أرض منبسطة، جردلا ، أرض

غير مستوية أقرأ ـ عزيزي القارىء ـ هذه الأبيات بشيء من التروي والموضوعية ستلمح من خلال قراءتك لها الروح القبلي وقد هيمن على الشاعر فهو يمدحهم، كما كانت تمدح القبائل في الجاهلية.

كان عليه ـ وهو المسلم الذي عاش في ضياء الاسلام المشرق ـ أقول: كان عليه أن يبدأ بمديح الأنصار لموقفهم العظيم من الاسلام، ومناصرتهم للرسول والرسالة الاسلامية، فهم الذين وقّروه ونصروه.. وبهم صال الاسلام وجال على الكفر.

ولكنا لا نلمس شيئاً من هذا في قصيدته.

لله درّ ابن الخطاب، لقد كان يعرف هذا الاتجاه في شعر حسان. ذكر ابن رشيق في العمدة: «إن عمراً (رض) مرَّ بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله (ﷺ) فقال: أرغاء كرُغاء البكر، قال حسان؛ دعني عنك يا عمر، فو الله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في المسجد من هو خير منك فما ينكر عليَّ ذلك. فقال عمر (رض) صدقت».

لا شك ان ابن الخطاب كان قد سمع من الشاعر حسان شعرا لا يتفق والمبادىء الاسلامية، فوصفه بأنه كرُغاء البعير لا نفع فيه..

إن ابن الخطاب (رض) لم يكن ضد الشعر والشعراء فقد كتب الى عامله ابي موسى الاشعري يقول: «مُرُ مَنْ قبلك يتعلم الشعر فأنه يدل على معاني الأخلاق، وصواب الرأي ومعرفة الإنساب».

ولكن ـ دون شك ـ عندما أستنكر ما كان يقوله حسان من شعر لأنه سمع منه شيئا من التفاخر بالقبيلة، الذي وقف منه الاسلا موقفاً حدِّيا، فرحم الله الفاروق عمر (رض).

شرح الابيات

١ ـ لا تلومي ـ أعزك الله ـ فهكذا خلقت، فأني لا أميل الا الى الاخلاق الجميلة العالية.

٢ ـ أتركيني وخليقتي، فأني أعلم الامور، فليس يضنيني منها الفشل والشؤم.

٣ ـ وكما علمت، فأني أكره البخل وأراه عيبا ما بعده عيب، وأمقتُ ذا الوجهين، الذي يلبس لكل حالة لبوسها.

٤ ـ إن حزمي يأبى عليَّ ان أترك أمرا وأرجع اليه بعد فترة، فأني أذا ما عزمت توكلت.

٥ ـ اننا لا نجعل علينا رئيسا ألا من أتصف بالشجاعة والبراعة وان يكون مهيبا على جبينه تاج المهابه والجلال.

٦ ـ لقد أقام لنا الفخار بيتاً دعائمه المجد والسؤدد، وقد حاول الناس، ان يهدموه فأعياهم ذلك.

٧ ـ وأنك لن تجد اعز من الانصار في جاهليتهم واسلامهم وأنهم ذوو مجد وسؤدد، ذلكم هم الانصار.

٨ ـ لنا منطقة صعبة محفوفة بالجبال تجري بها الأنهار والوديان.

٩ ـ هي أرض كريمة ازدانت بشتى المزروعات والأطايب.

١٠ ـ حميناها من كل معتد، وجعلنا رجالنا وأسيافنا دونها.

١١ ـ أذا أجرنا، فلا يخشى شيئا مجيرنا، وان الناس ليلقون الكرم في ديارنا، فيتحولون أليها.

وقال يبكي الرسول (ﷺ) بعد أنتقاله الى الرفيق الاعلى :

١ ـ بطيبة رسم للرسول ومعهد	منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
٢ ـ ولا تنمحي الآيات من دار حرمة	بها منبر الهادي الذي كان يصعد
٣ ـ بها حجرات كان ينزل وسطها	من الله نور يُستضاء ويوقد
٤ ـ عرفت بها رسم الرسول وعهده	وقبراً بها واراه في الترب ملحد
٥ ـ فبوركت يا قبر الرسول وبوركت	بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
٦ ـ وهل عدلت يوما رزية هالك	رزية يوم مات فيه محمد
٧ واحست بلاد الحرم وحشا بقاعها	لغيبه ما كانت من الوحي تعهد
٨ ـ وما فقد الماضون مثل محمد	ولا مثله حتى القيامة يفقد
٩ ـ أقول ولا يلقي لقولي عائب	من الناس ألا عازب العقل مبعد
١٠ ـ وليس هواي نازعاً عن هوائه	لعلي به في جنة الخلد أخلد
١١ ـ مع المصطفى أرجو بذاك جواره	وفي نيل ذاك اليوم أسعى واجهد

شرح الأبيات

١ ـ قد تعفو الرسوم وتمحي، وتتلاشى الآثار وتختفي، ألا رسوم المصطفى (ﷺ) فانها لا تنسى ولا تخمد.

٢ ـ هل يمكن ان أنسى الوحي ـ عليه السلام ـ الذي كان يهبط على الرسول (ﷺ)؟ وهل يمكن ان أتشاغل عن ذاك المنبر الذي كان يقف عليه في مسجده، ليخبرنا بما نزل به الوحي؟

٣ ـ هي أماكن كريمة، لأن نور الوحي كان يضيء جنباتها وضياء الرسالة كان يشرق ما بينها.

٤ ـ لقد عرفت في تلك الاماكن العظيمة المقدسة، الرسول كان يبلغنا فيها حكمة الله وأمور دينه، وأذا بتلك الأماكن تضم جسده الشريف.

٥ ـ فتباركت من أرض ضمت جسدك الطاهر، وتباركت بلاد كنت فيها وثويت في تربتها.

٦ ـ وهل هناك مصيبة هي أعظم من مصيبة مفارقتك؟ لا أظن هذا فما من فاجعة فجعنا بها كفجيعتنا بك.

٧ ـ وبعد غيابك عنا أصبحت بلاد الحرم وحشة، وبقاعها غير مأنوسة، لانها فقدت بفقدك نور الوحي وبهائه.

٨ ـ وكم من أناس ضمهم الثرى، وكم من أجساد أحتوتها الارض، ولكن هيهات هيهات ان تحوي جسداً طاهرا كجسدك.

٩ ـ سأقول قولا لا ينكره ألا انسان لا عقل له، ولا يعيبه ألا من غاب عنه الفكر، وأفتقد الفطنة.

١٠ ـ ان هواي من هوى الرسول، وان حبي له، والتزامي بتعاليم الاسلام العتيدة، جعلني أطمع ان يجمعني الله وأياه في جنات الخلد.

١١ ـ واني لأرجو جواره في الآخرة، كما كنت أجاوره في هذه الدنيا، ولهذا أعمل كل جهدي لأصل اليه.

كان خالد بن الوليد عندما فتح اليمامة، تزوج ابنة مجاعة ابن مرارة الحنفي، وعارض في ذلك الانصار، فتنكر لهم. ولما سمع حسان بذلك كتب هذه الابيات وذهب الى عمر بن الخطاب (رض) فأخذها عمر ودخل بها على ابي بكر الصديق (رض).

فعزل ابو بكر الصديق خالدا، وحوله من اليمامة الى الشام ولما توفى الصديق واعقبه ابن الخطاب عزله من الشام كذلك والابيات هي:

١ ـ من مبلغ الصديق قولا كأنه	أذا قُص بين المسلمين، المبارد
٢ ـ أترضي بأنّا لم تجف دماؤنا	وهذا عروس باليمامة، خالد
٣ ـ يبيت يناغي عرسه وبضمها	وهام لنا مطروحة وسواعد
٤ ـ إذا نحن جئنا صدعنا بوجهه	ويُلقي لأعمام العروس الوسائد

شرح الابيات

١ ـ من يخبر الخليفة الصديق خبرا اذا سمعه المسلمون وقع عليهم وقعا يحز في نفوسهم حز المبارد.

٢ ـ أترضى ان دماء القتلى لم تجف بعد، وخالد يتمتع بالزواج.

٣ ـ بينما يتمتع هو بزوجه تاركا الاجساد والقتلى مازالت في ساحات المعركة.

٤ ـ إذ جاءه الانصار تنكر لهم وأزوّر عنهم، بينما هو يستقبل أهل العروس بكل ترحاب وأحتفال.

قال في مدح الرسول (ﷺ)

١ ـ وأحسن منك لم تر قطُّ عيني
وأجمل منك لم تلد النساء

٢ ـ خُلقت مبرأً من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

وقال يمدحه أيضاً :

٣ ـ والله ربي لا نفارق ماجداً
عفَّ الخليقة سيد الأجداد

٤ ـ متكـرمـاً يـدعـو ألى رب العـلا
بـذل الـنـصـيـحـة رافـع الأعـماد
٥ ـ مـثـل الهـلال مـبـاركـاً ذا رحمـة
سـمـح الخـلـيـقـة طـيـب الأعـواد
٦ ـ إن تـتركـوه فـأن ربي قـادر
أمسى يـعـود بـفـضـلـه الـعـواد
٧ ـ والله ربي لا نـفـارق أمـره
مـا دام عـيش يـرتجـى لمـيـعـاد
٨ ـ لا نـبـتـغي ربـاً سـواه ونـاصـراً
حـتى نـوافـر ضـحـوة المـيـعـاد

شرح الابيات

١ ـ هل هناك من هو أحسن من أكرم الخلق. . . ؟
هيهات أن تلد النساء مثلك في جمال خلقك وخلقك.
٢ ـ عندما تمت مشيئة الله أن تكون نبياً، وشاءت قدرته ان يبعثك رسولا للعالمين، فقد أختار لك أجمل صورة وأبعدك عن كل عيب.
٣ ـ اني لأقسم بلله، ويقسم معي كل المؤمنين أننا سوف لا نفارق رسولا كريما ماجداً، عفيفا ذا أصول تعتبر من أشرف أصول العرب.

٤ ـ نال كرم أخلاقه كل الناس، وكيف لا ، وهو يدعو الى رب واجد، يبذل في ذلك النصائح ، وهو يرفع أعمدة الدين السمح .
٥ ـ يشبه بالهلال في طلعته، رحيما بالآخرين ،يريدالخير للجميع هادىء النفس مطمئن الضمير، طيب الأصول.
٦ ـ أذا ما أبتعدتم عنه وغادرتموه، فله ربه الذي سيكون معه ويؤازره، وسيمده بأفضاله المستمرة.
٧ ـ واني لأقسم بأننا سنكون معه ، ولا نفارقه، ولا نعصي له أمراً، مادام هناك رجعة بعد الموت وميعاد.
٨ ـ فأننا لا نبتغي رباً غير ألهنا فهو ناصرنا على أعدائنا وفي الأخرةسوف ينالنا الخير، وسيكون النعيم من نصيبنا.

قال في مدح الغساسنة

١ ـ أسألت رسم الدار أم لم تسأل
بين الجوابي فاليضيع فحوملِ
٢ ـ دمنٌ تعافتها الرياح دوارس
والمدجنات من السماك الأعزل
٣ـ فالعين عاتية تفيض دموعها
لمنازل درست كان لم تُوءل
٤ ـ دار لقوم قد أراهم مرة
فوق الأعزة، عزهم لم ينقل

٥ ـ لله درُّ عـصـابـة نـادمـتـهـم
يـومـاً بجـلـق في الـزمـان الأول
٦ ـ أولاد جفنـة عـنـد قـبر أبيـهـم
قـبر ابـن مـاريـة الكـريـم المفضـل
٧ ـ يغشـون حـتى مـا تهـر كـلابهـم
لا يـسـألـون عـن الـسـواد المقبـل
٨ ـ بيض الـوجـوه ، كـريمـة أحسـابهم
شـم الأنـوف مـن الـطراز الأولِ
٩ ـ ويسـود سيدنـا حجـاجـح سـادة
ويُصـيـب قـاتـلنـا سـواء المـفصـلِ
١٠ ـ وتـزور أبـواب المـلوك ركـابـنـا
ومـتى نحـكـم في الـعشـيرة نـعـدل
١١ ـ ونحـاول الأمـر المهـم خـطابـه
فـيـهـم ونـفـصـل كـل أمـر معضـلِ

شرح الابيات :

١ ـ هل سألت ما بقي من آثار الديار، أما أراك متهياً من سؤالها «الجوابي»، البضيع. حومل. أماكن معينة».
٢ ـ لم يبق من تلك الآثار ألا بقايا الحيوانات، لأن الرياح

والعواصف والأمطار الغزيرة كانت تتجاذبها، فلم تبق لها من أثر.
٣ ـ فلقد تعبت العيون وعانت الأمرين، لتلك الديار التي أصبحت خلواً من السكان، بعد أن كانت عامرة بهم.

٤ ـ لقد كانت تلك الديار لقوم أعزّه، ثبت فيهم العز ولم ينتقل الى غيرهم.

٥ ـ كم نادمتهم في ظلال ذلك العز الشامخ في زمان ولى ومضى.
٦ ـ أولاد جفنة هم الغساسنة، وأبن مارية هو الحارث بن الأعرج ومارية أم ابن جفنة بن عمرو، وكانت أبنة لملك الروم.
٧ ـ لكثرة الأضياف فكلابهم تعودت ذلك فهي لا تنبح أذا ما رأت غريباً يدخل قصورهم. وهم لا يسألون من الضيف الآتي؟ فكل من يأتي اليهم فهو ضيفهم.

٨ ـ هم أسياد ذوو أحساب كريمة، يأنفون من الدنية لأنهم رجال من طراز متميز.
٩ ـ إن سيدنا ليسود كرام الناس وساداتهم، وأذا ما نزلنا سوح الحرب فأننا نصيب من اعدائنا كل مقتل.
١٠ ـ نحن معرفون تستقبلنا الملوك وترحب بنا، وأذا ما حكمنا في العشيرة فأحكامنا عادلة.
١١ ـ وأنّا لنسعى الى الأمور المهمة فنجد لها حلولا، ونحل كل معضلة لا يقدر الغير على حلها.

وقال مجُيباً على قيس بن الخطيم في قصيدته التي يمدح فيها النعمان ابن المنذر، ملك الحيرة . . . . . وأولها

تــروج مـن الحسنــاء أم أنـت مـغتدي
وكــيــف أنــطلاق عــاشــق لم يــزودِ

فقال حسان :

١ ـ لعمــر أبيـك الخـير يـا شعث مــانبا
عــلى لــســاني في الخــطوب ولا يــدي
٢ ـ لســاني وسيفي صــارمــان كــلاهمــا
ويـبـلغ مــا لايـبـلغ الــسـيــف مـذودي
٣ ـ وإن أك ذا مــال كــثـير أجـد بــه
وإن يعتصر عــودي عــلى الجـهـد يحمـد
٤ ـ فــلا المــال ينسيني حيــائي وحفظتي
ولا واقـعــات الــدهــر يـفــللن مــبردي
٥ ـ أكــثر أهــلي مــن عيــال ســواهــم
وأطــوي عـــلى المــاء الــقــراح المــبرد
٦ ـ وأعـمــل ذات الـلوث حــتى أردهــا
إذا حط عــنهــا جـلســهــا لم تــقــيــد

٧ ـ أكلفها أن تدلج الليل كله
تروح الى باب ابن سلمى وتقتدي

٨ ـ تزور أمرءاً أعطى على الحمد ماله
ومن يعط أثمان المحامد يحمد

٩ ـ وألفيته بحراً كثيراً فضوله
جواداً حتى يذكر له الخير يزدد

١٠ ـ فلا تعجلن يا قيس وأربع فأنما
قصاراك ان تلقى بكل مهند

شرح الابيات

١ ـ اني لأقسم بعمر أبيك الموسوم بالخير يا شعثاء «شعثاء زوجته ورخم فقال يا شعث» بأن كلا من لساني ويدي يصيبان فمن يتلقفه لساني يُصير مسخاً، ومن تتناوله يدي تقضي عليه.
٢ ـ كل من لساني وسيفي قاطع، ولكن لساني أقوى بكثير من سيفي، فمن أتناوله بهجائي، لاأبقي له من أثر.
٣ ـ أني ولو أمتلكت الأموال الطائلة، فهي لا تبقي عندي، فسرعان ما أجود بها، ولو سألت وأنا لا أملك شيئا أقدمه للسائل فأنه سيتركني وهو فرح مغتبط.
٤ ـ فأنا لا أبطر أذا ما نلت الغنى ولا أفقد رزانتي وحيائي ولا الشدائد تنال من عزيمتي وإرادتي.

٥ ـ اني أرعى الآخرين وأعاملهم معاملة الأهل، ولو اني أظل لا أجد ما أملأ به البطن سوى الماء.

٦ ـ وأني لأقود ناقتي القوية متوجها الى من أريد وأحب.

٧ ـ فقد كلفتها أكثر مما تطيق، وسرت بها الليل بالاضافة الى النهار لأصل الى ابن سلمى وهو «النعمان بن المنذر ملك الحيرة».

٨ ـ كل ذلك لأحظى بزيارة انسان كان يهب أموالـه لكي يحمد ويطير أسمه في الآفاق، ومن يفعل أسباب الحمد فلابد ان يناله الثناء والشكر.

٩ ـ لقد وجدت فيه بحراً لا تقف عطاياه عند حد، وحتى! ما ذكر بالخير والثناء، ازداد عطاء وجوداً.

١٠ ـ فلا تتعجل وتهدد يا قيس بت الخطيم، وأثبت على ما تقوله فسوف تجابه بكل سيف بتار يخفف من غلوانك.

خاتمة

من أولى شرائط الباحث ان يكون موضوعيا في بحثه وان يتنصل ـ قدر الامكان ـ عن كل الخلفيات التي ورثها عن دراساته السابقة، وان يتجنب العاطفة التي كثيرا ما تدفعه الى مزالق قد تجره الى أخطاء جسيمة، وأحكام بعيدة عن الموضوع الذي هو بصدده.

ومما يؤسف له، ان كثيرا من صفحات تاريخنا قد كتبت بحس شعبي، فكثيراً ما كانت تسيطر الدراسة الذاتية، وتهيمن العواطف علي ما كتب، أضف الى ذلك ان الخلفيات الثقافية كانت تجد لها متنفساً عبر ما كتب وسطر من تاريخنا السياسي والادبي.

أرجو ان لا يفهم من كلامي هذا ان الكاتب أو الباحث عليه أن يدخل ابواب بحثه أو موضوعه، وهو خلو من كل شيء.

ما هذا الذي قصدته، لأنه لا يمكن لأي باحث او كاتب أو محقق ان يدخل ابواب البحث دون ان يستكمل أدواته ومن تلك الأدوات التي تعين الباحث، المعرفة بالحقائق والملابسات التي طغت عليها، والظروف التي خلقتها وأوجدتها بل ان الذي أريده ان يكون الباحث بعيدا عن الانفعالات والتحيز لأنهما يفقدان ملامح الحقيقة، ويذهبان بالغرض الذي ينشده الكاتب أو الباحث.

والذي يطلع على تاريخ الشعوب كلها، يخرج بأن كتاب تلك التواريخ كثيرا ما كانوا ينجرفون تحت تأثير أمواج العواطف وإغراءات الذات.

وهذا ما حصل لكثير من تاريخنا العربي الاسلامي، وتاريخنا الادبي، على يد من كتبوا ونقدوا ذلك التاريخ.

ومثل هذه الأنجرافات في متاهات العواطف، قد أساءت الى تراث الاجداد، وما تركوه لنا في شتى أبواب العلوم والمعارف، ان كتابة التاريخ بكل أنواعه. ليس من الامور السهلة، التي يستطيع كل واحد منا أن يتناولها.

فكاتب التاريخ يحتاج الى ذكاء وقّاد، ودراية بأحوال الناس وامزجتهم ـ وخاصة تاريخ الأدب.

وبالتالي فعلى مؤرخ الادب ان يكون قادرا على ربط الحوادث ببعضها، وأستنباط الأحكام التاريخية والادبية، كما عليه ان يكون متهيأ ثقافياً وعلمياً ولغوياً، ليتسنى له أخيرا ان يحكم على الاحداث والاشخاص والنصوص الادبية أحكاما صحيحة، أو على الاقل أن تكون أحكامه تلك ضمن دائرة العقل والمنطق.

واخيراً عليه ان يكون شجاعا غير هيّاب متعطشاً لقول الحقيقة ولو كان قولها يغضب الآخرين، ويعكر صفو أمزجتهم.

ان الحقائق كضوء الشمس لا تخفى، قد تكتنفها الغيوم والشحب ولكن سرعان ما تنقشع تلك الغيوم، وتتبدد تلك السحب

فيعود ضوء الشمس منيرا، وكذلك الحقائق فقد تحتجب لظروف قاهرة، ولكن سرعان ما تتلاشى تلك الظروف، فتبدو الحقيقة بأبهى صورها وأحلى أشكالها، فينبهر بها من كان يصد عنها، ويتعشقها من كان يضمر لها الكره والعداء.

فالأفكار العظيمة، والرسالات الكبرى في تاريخ البشرية تعرضت لكثير من النقد والأضطهاد، فأعترض طريقها المعترضون ووقف حائلا دون ظهورها وأنتشارها المرجفون. ولكن في النهاية فرضت وجودها رغم كيد الكائدين.

ولنا في رسول الله (ﷺ) أسوة حسنة، فعتدما أمره ربه ان يعلن الدعوة الاسلامية، ويبشر بها قومه والقبائل المجاورة لاقى ما لاقى من عنت قريش وجورها، فكان القوم يسفهون آراءه، وجهابذة قريش وأكابرها يلاحقونه وأصحابه فناله الأذى والأضطهاد، وترك هو والصحابة الاجلاء رضوان الله عليهم مكة الى المدينة، ومنهم من ذهب الى الحبشة.

ولكن ماذا حصل بعد ذلك؟

الذي حصل ان الدين بأفكاره العظيمة وشرائعه الالهية المقدسة فرضت نفسها على من كان يحاربها في الأمس القريب، ولا يطمئن الى صحتها، ويقف حائلا دون أنتشارها.

والآن ونحن قد درسنا جوانباً من حياة شاعر له خطورته في تاريخ أمتنا الاسلامية. وألممنا بشيء من شعره، بعد ان قدمنا نماذج

منها، ما علينا ألا ان نختصر الطريق وان نقول فيه كلمة الحق غير متأثرين بعواطفنا الاسلامية بأعتباره شاعر الرسول (ﷺ) ولا بما قاله من كتب عنه قبلنا.

أذن، فلتكن أحكامنا مستوحاة من شعره، ومن حياته التي عاشها قبل الاسلام وبعد الاسلام، لا أن تكون أحكامنا نابعة من عواطفنا بأعتبارنا مسلمين، ولما كان حسان قد قضى شطرا من حياته ينافح عن الاسلام والمسلمين، ويدافع عن الرسالة وصاحبها، أذن، فلتكن أحكامنا قطعية لا مجال للنقاش فيها ولا المدراسة.

ان مثل هذه البحوث العرجاء، لا تستطيع ان تصل بنا الى الهدف المنشود.

فنحن عندما نقدم على دراسة الشاعر حسان علينا ـ قبل كل شيء ـ ان نفصل شخصيته كشاعر عن شخصية الرسول (ﷺ) كصاحب رسالة ربانية أمره ربه ان يجهر بها وان ينشرها بين الناس أجمعين.

وان نضعه في الميزان كغيره من الشعراء، وان نتدارس شعره بكل دقة وامعان قبل الاسلام وبعد، وان نوازن ما بينهما، لنعرف أخيرا مكانة حسان بين الشعراء ونتحقق مما قدمه من خدمات للدين الجديد، وبذلك نكون قد أصبنا كبد الحقيقة ـ كما يقولون ـ ووصلنا الى هدفنا المنشود.

حسان والاسلام: لم يدخل شاعرنا الاسلام متطوعا ولا منجذبا اليه، بل دخل الاسلام، عندما أعلن قومه بنو النجار من الخزرج الاسلام فتبعهم، ونحن نعلم ان شخصية الفرد كانت تذوب في شخصية القبيلة في العصر الجاهلي، أذن، لابد لحسان بن ثابت ان يصبح مسلماً بعد ان اعلن قومه الاسلام. ولو قدر لقومه ان يبقوا بعيدين عن نفحات الاسلام لبقى شاعرنا بعيدا. هو الاخر ـ عن الاسلام وصاحب الرسالة محمد صلوات الله عليه وسلام.

هذه حقيقة لا يختلف عليها أثنان، لم يدخل شاعرنا الاسلام كما دخله ابو بكر او علي رض الله عنهما أو كما أنجذب اليه عمار بن ياسر أو بلال الحبشي بل كان دخوله الاسلام أمر يقتضيه عرف القبيلة وتقاليدها.

ولما كانت الدعوة الاسلامية تتعرض لهجمات الشعراء من قريش وغيرهم الذين كانوا يناصبون الاسلام العداء، كان على الشاعر حسان، الذي دخل الاسلام ان يذود عن النبي (ﷺ) والمسلمين، وان يتربص لكل من يحاول ان يتعرض بالهجاء للرسول وللمسلمين.

وهذه سنة كانت متبعة قبل الاسلام، فكان لكل قبيلة شاعرها يذود عن حماها ويرد كل من يتعرض لها شعراً.

وقد كان الشاعر حسان بن ثابت، أحد شعراء قبيلة الخزرج، والذي كان متربصا للرد على أي شاعر يتعرض لقبيلته

من الأوس، قبل ان يحل الرسول الكريم (ﷺ) بين ظهرانيهم، ويحول ذلك الخلاف الذي كان على أشده ما بين الحيينّ الى تفاهم وحب.

فقد كانت له مناقضات مشهورة، مع شعراء قبيلة الأوس، قبل الاسلام أذن، فمهمة الشاعر الجديدة، إنما هي امتداد، لما كان يقوم به قبل الاسلام فعندما تلاشى العداء بين قبيلتي الأوس والخزرج، وأصبح العدو المشترك لهما ولجميع المسلمين متمثلا في قريش، ومن ولاها، تحول شاعرنا الى هؤلاء القوم، كلما قام منهم شاعر يهجوا الاسلام والمسلمين قابله حسان بالمثل، وسلقه بألسنة حداد، ذائذاً عن الرسول الكريم والرسالة الاسلامية.

ارجو ان لا يفهم من كلامي، ان حسانا لم يكن مؤمنا بالإسلام ـ حاشاه ـ كان مؤمنا به لأن قومه «الانصار» قد آمنوا به.

انه لم يكن من الذين أغراهم الاسلام بمبادئه العظيمة وشرائعه السمحاء فانجذب اليها، كما حصل للآخرين.

عرفنا هذا، وبانَ لنا واضحا عندما تصفحنا ديوانه. وتابعنا مسيرة حياته، بعد وفاة الرسول (ﷺ)

لقد وجد نفسه ـ ضمن مفهوم القبيلة ـ الذي كان معروفاً في العصر الجاهلي أنه كان مدفوعا الى ان يقف الى صف المسلمين، وان يناهض قريشاً التي كانت تحمل راية الثورة ضد الاسلام والمسلمين.

ومما أغراه في ذلك هو التنافس ما بين الأنصار قوم الشاعر وقريش الذي كان الشاعر يقف لهم بالمرصاد، ذلك التنافس الذي تحول الى ما يشبه العداء ما بين هذين الفريقين من المسلمين وخاصة بعد أنتقال الرسول (ﷺ) الى الرفيق الاعلى.

ان التحاق الشاعر بالدين الجديد لم تكن منبعثة عن دوافع ذاتية مصدرها الايمان الشخصي المطلق بهذا الدين، بل كان مصدرها الانتماء القبلي ان الشاعر في سبيل العقيدة كالمقاتل في سوح القتال، فكما ان المقاتل يستبسل ويستشهد في سبيل عقيدته ودينه، كذلك الشاعر تنشط قريحته الشعرية وتسمو عواطفه أذا ما أعتنق مبدءاً من المبادىء أو عقيدة من العقائد.

ولكننا وجدنا عكس هذا عند حسان، فما قاله في الجاهلية من شعر كان أجود من الشعر الذي قاله في الاسلام.

والأنكى من هذا ان حسانا ظل صامتا، بعد أن انتقل الرسول الى الرفيق الأعلى فظل طوال فترة خلافة الشيخين أبي بكر وعمر رض الله عنهما صامتا لا ينبس ينت شفه.

لقد أثبتت التجارب، ان العقائد والاديان أذا لم تدخل القلوب وتستقر فيها، وتمتزج بالدماء، وتكون جزءاً من معتنقها، فأن الفتور سرعان ما يعتورها ويغير مسيرتها.

وهذا ما حصل لحسان. هل أنتهى الاسلام بعد وفاة الرسول؟

لكي يصمت الشاعر هذا الصمت الطويل؟

قد يصاب أي انسان بشيء من الذهول لفقدان شخصية كشخصية الرسول (ﷺ) ولكن لا يمكن ان يمتد به هذا الذهول عشرات السنين.

لقد حدثت أمور عظيمة في عهدي الخليفتين تستدعي من هذا الشاعر أن يقول رأيه فيها، لا ان ينزوي ويبقى صامتا فترة طويلة يقول البعض ان حباً حسان للعافية وابتعاده عن المشاكل، التي تثيرها الأزمات هو الذي جعله ينفر من الساحة، لأنه كان يرى في رسول الله (ﷺ) ظهيراً وحامياً له من كل سوء، فلما فارقه خاف على نفسه ان يحشرها في خصومات وعداوات قد تعود عليه بالضرر الكبير.

قد يكون من ادعى هذه الأمور على شيء من الحق، خصوصا وان حسان عندما أنتقل الرسول الى الرفيق الاعلى كان ... قد حومّ على السبعين ومثل هذا العمر يمنعه ان يزج نفسه في خلافات هو في غنى عنها، فأنكفأ على نفسه راضياً منها بالسكوت.

ولكنا ما طالبناه أن يخوض المعارك ولا أن يحمل سيفا ليجاهد، بل كل ما أردنا منه أن يبدي رأيه ويقول شعراً في أحداث أسلامية كبرى. كانت فاصلة في تاريخ الاسلام.

أين كان صاحبنا عندما أنتصر المسلمون في معركة اليرموك، تلك المعركة العظيمة التي أكدت للروم أن لا جدوى من مقارعة

العرب ومنازلتهم ولابد أذن من ملاينتهم حتى يبتعدوا عن معارك تشبه تلك المعركة التي بقي شبحها بالنسبة اليهم رهيباً.

أقول أين كان حسان أمام هذا الحدث العظيم؟

وأين كان يوم أنتصار المسلمين في القادسية، التي وضعت نهاية لأكبر أمبراطورية كانت معروفة آنذاك.

كل تلك الأحداث العظام لم تحرك شاعريته، ولم تجعله يصور تلك الأمور العظيمة في شعره.

تلك المعارك التي حركت الرمم في لحودها، وزعزعت الجبال والوديان ولكنها لم تستطيع ان تحرك عواطف شاعرنا.. لماذا؟ لا أدري ولو بقي ساكتا للأخير لهان الأمر. ولكنه يرجع ثانية الى قول الشعر بعد الفتنة الكبرى فنراه ينضم الى صفوف عثمان، وعندما يستشهد عثمان (رض) ينضم الى صفوف الأمويين.

لماذا رجع اليه صوته في هذه الفتنة العمياء؟

ان الكثيرين من المؤمنين الصادقين في أيمانهم، أبتعدوا عن نيران تلك الفتنة، لأنهم كانوا يعتقدون ـ وهم صادقون ـ ان كل ما تحمله في طياتها هو الشقاق والدمار للمسلمين، فأداروا لها ظهورهم، ورأوا فيها فتنة لا تبقى ولا تذر.

ولكن صاحبنا يخوضها مع الخائضين، بعد ان كان واجما طوال عهدي الشيخين، ذلك العهد الذي أتسم بأكبر الفتوحات الاسلامية، وكان عليه ـ وهو الذي رافق الرسول (ﷺ) أن يكون

بشير وفاق ما بين الفرقتين المتقاتلين، لا أن يميل الى أحداهما دون الأخرى.

وهذا شاهد واضح ان هذه الفتنة أججت في روح حسان الشعور القبلي الذي كان رابضا في أعماقه، فأنفجر يوم أنفجرت الحرب بين المسلمين.

والذي يدعم رأينا هذا ان الشاعر حتى في قصائده الاسلامية، كانت تشع من خلال أبياتها روح التعصب القبلي، فهو دائما ينحاز الى الانصار ويذكرهم في كل مناسبة اسلامية، يمدحهم بروح قبلي لا اسلامي كما أسلفنا القول في قصيدتيه اللتين قالهما في يومي بدر وأحد فأنه يمتدح الأوس والخزرج، وكأنهما لوحدهما قاما بذلك الانتصار.

علماً ان الاسلام حارب هذا التقوقع القبلي وقاومه بكل قوة، ولكن مع هذا نلمح شاعرنا يميل اليه وتستريح اليه نفسه.

كلّ هذا ـ في رأي ـ وأرجو ان أكون موفقاً. هو ان الشاعر لم تستمكن من نفسه العقائد الاسلامية، على ما قدمه من خدمات الى الاسلام والمسلمين وربَّ قائل يقول ـ أذن كيف كان الرسول (ﷺ)يستأنس بشعره ويقربه؟ لقد كانت حكمة الاسلام أبعد من ذلك كله. لقد أوصى للمؤلفة قلوبهم بشيء من الغنائم. وهم قوم ما كانوا من الأسلام في شيء. وأنما حكمة الدين الجديد، وبعد نظره، وفهمه العميق لنفوس الناس هو الذي دفعه ان يشمل هؤلاء

القوم بشيء من غنائم المسلمين، وذلك ءتقاء لشرورهم.

فلما جاء الخليفة العادل عمر بن الخطاب (رض) أسقط عنهم هذا العطايا، فلما نوقش في هذا، كان جوابه مصيباً وحكيماً: هو ان الاسلام كان ضعيفاً يتحاشى هؤلاء الناس، أما الآن فقد أصبح قوياً عزيزاً، فلا تُعطىٰ الغنائم بعد اليوم ألا لأصحابها.

وربما كان النبي (ﷺ) يرى هذا الرأي في شاعرنا، لقد كان محتاجاً اليه في الرد على شعراء المشركين، فكان يقربه اليه، وهو يعلم ما كانت تنطوي عليه نفسية حسان من رواسب جاهلية.

ومما يؤيد رأينا ان الرسول (ﷺ) أقام على حسان الحدَّ يوم ان خاض مع الخائضين في حديث الأفك ضد زوج الرسول (ﷺ) وسليلة الأكرمين وأم المؤمنين أبنة أبي بكر رضي الله عنهما.

ولكن أعود فأقول: علينا أن لا نبخس الناس أشياءهم.

ان الرجل قام بدور مشرف. فلطالما رد عن الاسلام وأهله كيد الكائدين وكان الرسول يعتمد عليه كل الاعتماد في التصدي لشعراء قريش، فلم يتأخر عن هذه المهمة. وقام بها على أحسن وجه، فجزاه الله عن رسوله والمسلمين خير الجزاء.

لم يكن شعر حسان في الاسلام من حيث القوة والجزالة، وسمو العاطفة وجيشان الوجدان، كما كان عليه في الجاهلية.

ربما كان هذا راجع الى كبر سنه، لأنه دخل الاسلام وقد تجاوزت سنه الستين عاما. وفي مثل هذه السن تفتر الهمم، وتخمد

العواطف، ويجف ينبوع الوجدان. لذا كانت قصائد صاحبنا في الجاهلية تمتاز بالقوة والحبكة الغنية، لأن الشاعر آنذاك، كان في ذروة شبابه وأوج صباه.

وثمة ظاهرة نلمحها في شعره الاسلامي. هي ان اكثر قصائده من المقطعات التي لا تتجاوز العشرة الابيات، على عكس ماكانت تحتوي عليه قصائده الجاهلية من عشرات الابيات.

وقد نلتمس لصاحبنا عذراً في ذلك؛ هو ان المواضيع التي عالجها في ظل الاسلام هي مواضيع عقلانية عقائدية، المراد منها الرد على أعداء الاسلام وتبكيتهم في إدعاءاتهم الباطلة ضد الاسلام فلم تعد هناك مقدمات، لا غزل، ولا بكاء على الاطلال، لقد أختزلت القصيدة في العهد الاسلامي الاول، وبقيت مقتصرة على الغرض المطلوب.

لذا فقد أصبحت قضيرة، وهذا ما حدا بحسان بن ثابت، أن يختزل هو الآخر في قصائده، أذن فقصر القصيدة في شعر حسان الاسلامي هو شيء طبيعي، أذا ما نظرنا للموضوع بهذا المنظار وأخيراً أريد ان أنصف الرجل وأزيل عنه عيباً لصيق به، وكادت الآراء ان تجمع عليه، وهو اتهامه بالجبن والخور.

واعتقد ان الذين أتهموه بذلك لم يكونوا من المنصفين، لأنهم أعتمدوا في اتهامهم هذا الى عدم أشتراك حسان في الغزوات التي كان يقوم بها الرسول (ﷺ) ضد أعداء الاسلام.

لم يكن احجام حسان عن اشتراكه في تلك الغزوات ناتجا عن خوف من الحرب او القتال. ولكن الذي أراه وأذهب اليه ان السبب هو الشيخوخة التي ألمت به، فقد تجاوز الستين من عمره، ومثل هذه السن لا تؤهل صاحبها ان يشترك في حروب تعتمد على القوة الجسيمة، خصوصا معاركهم التي كانت تعتمد على الفروسيةوالخفة في الكر والفر.

فلابد ان يكون الفارس قويا خفيف الحركة ذا جسم مرن يستطيع ان يتحرك بهوهو على فرسه، بكل ليونة وخفة.

وأنى لرجل قد جاوز الستين من عمره ان تتوفر في جسمه مثل هذه القوة والمرونة؟

أضف الى ما تقدم ان أكحل حسان كان مقطوعا الأكحل «وريد يكون في اليد» فقد كان يمنعه من حمل السيف ومقاتلة الاعداد أذن فتأخر الشاعر حسان عن حضور الغزوات مع الرسول (ﷺ) كان سببه تقدم في سنه، وعجز أصاب يده، لا الجبن ولا الخور كما زعم بعضهم.

وأخيراً سيبقى حسان بن ثابت علماً من أعلام الشعر، وسيفاً من أسياف الاسلام، الذي سله رسول الله ضد الكثيرين من الشعراء الذين تعرضوا لرسالته.

وسيظل اسمه مقرونا بصاحب الدعوة والمسلمين الأول.

ولكن هذا لا يمنع ان تكون هناك بعض الجوانب السلبية في حياة هذا الرجل، ورحم الله القائل؛

ومن ذا الـذي تـرضى سجـايـاه كـلهـا
كـفى المـرء نيـلا ان تُعـد مـعـايـبـه

مصادر البحث

١ ـ حسنين، سيد حنفي. تحقيق ديوان حسان بن ثابت، الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٧٤.

٢ ـ الأسد، ناصر الدين .. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية دار المعارف بمصر. القاهرة ١٩٦٠.

٣ ـ طه حسين، من حديث الشعر والنثر، مطبعة الصادي، القاهرة.

٤ ـ طه حسين، حديث الاربعاء. دار المعارف بمصر

٥ ـ طه حسين، في الأدب الجاهلي دار المعارف بمصر

٦ ـ شوقي ضيف، العصر الجاهلي دار المعارف بمصر

٧ ـ النويهي، محمد. الشعر الجاهلي، الدار القوقية للطباعة والنشر. القاهرة.

٨ ـ الجبوري، يحيى، الجاهلية. مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٨

٩ ـ الأصبهاني، ابو الفرج، الأغاني ـ الجزء الرابع ـ مصور عن طبعة دار الكتب سنة ١٩٧٦.

١٠ ـ الجاحظ، أبو عمر بحر. البيان والتبين. تحقيق عبدالسلام محمد هارون مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٦٨.

١١ ـ القيرواني، أبن رشيق. العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة حجازي، القاهرة ١٩٣٤.

١٢ ـ مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع الهجري. دار الجيل القاهرة ١٩٧٥

١٣ ـ ابن هشام، السيرة القاهرة ١٩٥٤ ط السقا.

١٤ ـ سيد حنفي، حسان بن ثابت شاعر الرسول، اعلام العرب ١٩٦٤

١٥ ـ الحموي، ياقوت، معجم البلدان. القاهرة ١٩٠٦

﴿حسّان بن ثابت الأنصاري﴾

هو حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام. أما أمه فهي الفريعة بنت خُنيس بن لوزان بن عبد ودّ.

ولد في منتصف العقد السابع من القرن السادس الميلادي، وذلك حوالي ٥٦٥م في المدينة. وينتسب الى قبيلة بني النجار، التي تنتمي بدورها الى الخزرج، فهو خزرجي من ناحية الأبوين. لهذا كان قبل الاسلام متعصباً لقومه وكانت له نقائض معروفة مع شعراء الأوس.

كانت أسرته من الأسر المرموقة في الجاهلية والاسلام، ففي الجاهلية كان أبوه ثابت بن المنذر من أولي الرأي والمشورة، وقد حكمته الأوس والخزرج في حرب يوم سمير وقبلوا بالأحكام التي أصدرها بهذا الشأن. وهذا ان دلَّ على شيء فأنما يدل على مكانة الرجل في قومه

مكتبة النهضة
بغداد ـ شارع المتنبي
هاتف ٤١٦٢٦٨٩

السعر دينار

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد (٢٤٥) لسنة ١٩٨٨